
تأليف محمود دياب
باب الفتوح

منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية

١٩٧٤ ـــــــــــــــــــــ سلسلة القصة والمسرحية
(٢٨)



مسرحية من ثلاثة فصول

تأليف محمود دياب

اشخاص الرواية

(١) المجموعة المعاصرة: سبعة من الشبان المعاصرين بينهم فتاتان تتراوح اعمارهم بين الثالثة والعشرين والثلاثين •

(٢) اسامة بن يعقوب: شاب عربي اندلسي عاش في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، من أشبيلية •

(٣) عماد الدين (العمادة) : مؤرخ عربي كان ملازما لصلاح الدين الايوبي في غزواته •

(٤) سيف الدين : احد قادة حراس صلاح الدين •

(٥) زيـاد المصري : كاتب لدى عماد الدين ــ وتلميذ له ، وهو لا يتجاوز العشرين من عمره •

(٦) ابو الفضل : شيخ معمر تخطى المائة ، شهد غزوة الفرنج للقدس في سنة ١٠٩٩ م •

(٧) حسان وعمر : ولدا ابو الفضل وهما بين الستين والسبعين •

(٨) عائشة : فتاة في العشرين •• من نسل ابي الفضل •

(٩) عبدالرحمن : رجل من اسرة ابى الفضل •• بتر أحد ذراعيه وهو يجاهد مع نورالدين •

(١٠) تاجر العبيد

(١١) تاجر النفائس

(١٢) تاجر الغلال

(١٣) سارة : يهودية متوسطة العمر •• كانت تقيم بالقدس عند فتح صلاح الدين لها في سنة ١١٨٧ ميلادية •

(١٤) سيمون : ابنة سارة •• في حوالي الخامسة والعشرين •

(١٥) مجموعة من اسرى صلاح الدين من الصليبيين •

(١٦) مجموعة من جند صلاح الدين •• وحراسه •

(١٧) مجموعات من فقراء العرب العائدين الى بلاد الشام بعد فتح صلاح الدين لها •

(١٨) عدد من رجال ونساء واطفال الصليبيين الذين طردوا من القدس بعد فتحها •

(١٩) مجموعة من سادة العرب من تجار وملاك عاشوا أيام صلاح الدين •

الفصـــل الاول

المنظـــر :

احداث هذا الفصل تجري على مستويين زمنيين • اولهما : المستوى العصري وهو يشمل المجموعة المعاصرة من الشبان • وهم يحتلون مقدمة المسرح كاملة في البداية ، ثم تجمعهم دائرة على الجانب الايمن من المقدمة ، مع دخـــول المستوى الزمني الثاني •

والمســـتوى الثاني ، وهو التاريخي ، ويحتوي الساعة التالية لنهايـــة المعركة بين جيش صلاح الدين والفرنج في موقعة « حطين » • في عمق المسرح نرى تلا داكنا يبلغ اعلى مستوى له في اقصى يمين المسرح ، ثم نحس بانحداره على الجانبين •• ومن خلفه تلوح قمة جبل حطين • وقد نرى على التـــل ، في اقصى اليمين ، جزءا ولو ضئيلا من الخيمة التي تظلل صلاح الدين خلال استعراضه للاسرى • وقد لا نرى شيئا من هذه الخيمة ولكننا نحس بوجود صلاح الدين من خلال حركة حراسه ومسيرة الاســـرى •

(يسقط الضوء على امامية المسرح ، فيكشف عن مجموعة من الشباب المعاصر وعددهم سبعة ، بينهم فتاتان • احدهم ، وهو من نسميه بالشاب الخامس ، يجلس فوق عدد من الكتب الكبيرة القديمة مطرقا • ان شيئا ما يثقل الجميع ، ويدفعهم للصمت) •

(وتمر لحظة صمت)

الشاب الاول : الصمت ثقيل •

الشاب الثاني : وأثقل منه •• انتظار مالا نعرف ، زمنا لا نعلمه •

الشاب الثالث : الاسوأ من هذا وذاك ألا تعرف ماتريد •

الشاب الرابع : والاشد سوءا •• ألا تملك أن تريد •

الفتاة (١) : لا أهمية لان اريد •• فهناك من يفكر لي •• ويريد نيابة عني •
كل شيء يجري باسمي •• وفي بعض الاحيان لحسابي •

الشاب الاول : استعاروا عقلك ولسانك •• ولكنهم ـ لحسن الحظ ـ تركوا لك يديك الاثنتين •

الشاب الثاني : فهم لم يحرموك من ان تصفقي للتعبير عن الامتنان •• والاستحسان •

الشاب الرابع : الصمت وسيلة عقيمة للتعبير عن رأي •

الفتاتان : (معا) الصمت رضا •

الشبان الاربعة : بل الصمت غضب •

الشاب الثالث : (الى الشاب الخامس) يا أخانا المغرم بالتأريخ •• افتنا في مسألة الصمت •

الشاب الخامس : (يرفع رأسه •• لا يجيب •• ويطرق ثانية) •

الشاب الرابع : انه يدفن صمته في التاريخ •

الفتاة (٢) : امي تنصحني بألا ألزم الصمت طويلا •

الفتاة (١) : امها ترى في التزام الصمت مرضا .

الفتاة (٢) : بل هي ترى اني لا أصمت الا لأفكر .. وهي تخشى أن أرهق رأسي بالتفكير .

المجموعـة : (فيما عـدا الرابع والخامس) انا افكر .. اذن .. أنا موجـود ..

الشاب الرابع : (صارخا) انا اصرخ .. اذن .. فأنا مـوجـود .. (المجموعة تضحك ضحكة خفيفة) لن يحس من حولي بوجودي ، الا اذا سمعوا صراخي ..

الشاب الاول : وهم لن يسمعوا صراخك على اية حال .. فسيعلو عليه نقيق الضفادع ..

المجموعـة : (فيما عدا الرابع والخامس) والضفادع كثيرة من حولنا .

الشاب الثاني : واذا سمعك احدهم فسيرميك بالجنون .

الشاب الثالث : او يرى فيك شخصا تنقصه الحكمة .

الشاب الاول : او انك مأجـور ..

الفتاة (١) : وان اهلك لم يحسنوا تربيتك ..

الفتاة (٢) : همجي ..

الشاب الاول : تهرف بما لا تعرف .

الشاب الثاني : غير مثقف ..

الشاب الثالث : خنفس بالتقليد ..

المجموعـة : في حين أننا لا نحب الخنافس .. ولا الضفادع .. ولا الاشياء المزيفـة ..

الفتاة (٢) : ولا الكلمات الرنانة .

الفتاة (١) : ولا انكار وجود ما هو موجود ..

المجموعة : ونحن موجودون •• برغم الصمت • ومدركون ، برغم ما تفرضه المناهج التعليمية • ولا تنقصنا الحكمة ••

الشاب الاول : (مقلدا رجلا اكبر سنا) اكبر منك بيوم •• يعرف عنك بسنة ••

المجموعة : هذا كذب •• فرية اجيال لا تريد ان تتخلى عن موقعها •• تتشبث بالبقاء •• وبالسيادة • ولا تعترف بنهايات الاشياء ••

(سكتة قصيرة) •• ونحن صامتون ننتظر النهاية •• وصمتنا غضب ••

الشاب الرابع : وفي تقديري ــ أن كان لي ان اقدر ــ أن صمتنا ضرب من العناد • او هو لون من غضب الاطفال في احسن تقدير ••

المجموعة : نحن لا نملك الا ان نصمت ••

الشاب الرابع : وصمتنا عقم وسلبية ••

المجموعة : نحن لا نملك الا ان نصمت •• او ان نحل جداول الكلمات المتقاطعة •• وهي جداول وضعت خاطئة عن عمد •• حتى لا نجد لها حلا أبدا • رقابنا تلوى ، ليعتصر منها اللاشيء ••

الفتاة (١) : فلنفعل شيئا آخر •• امي لا تهتم بأن اصمت •• او اتكلم •• او ارقص •• فلنرقص •• هيا نرقص •• (تدور حول نفسها دورة او اثنتين ثم تتوقف في سأم) ان شيئا ما بنفسي يثقلني •• شيئا كالاكتئاب ••

الشاب الثاني : (هاتفا فجأة) اني اقترح •• (ثم في هدوء) نقلد آبائنا في ادعاء القدرة على الصبر •• فننصت الى أغنية طويلة جدا ، تستمر بالساعات •• وندس انفسنا في كلماتها لتحملنا بعيدا •• بعيدا •• فوق السحب ••

الشاب الرابع : نحن لم نعد نطيق سماع المزيد من الاكاذيب ..

الشاب الاول : الاغاني لاتحملنا بعيدا .. ولكننا تتخيل انفسنا بالونات .. وتتخيل ثانية اننا نطير معها .

الفتاة (٢) : نطير انفسنا .. بانفسنا ..

الشاب الثالث : حياتنا مليئة بالتهيؤات ..

الشاب الرابع : نحن نصنع بانفسنا .. ما يراد ان يصنع بنا ..

الفتاة (١) : حين يراد لنا ان نضحك .. تتوهم اننا اضحكنا .. .. ونضحك ..

الفتاة (٢) : امي لا تحب ان تراني ابكى ..

الشاب الاول : لا احد يريد ان يرانا غاضبين ..

الشاب الرابع : وليس مسموحا لنا بأن نغضب على اية حال ..

المجموعة : نحن جيل مهموم .. ولد بلا اجنحة .. جئنا في زمن متأخر .. وليس على المائدة سوى أطباق المر .. والتركة وزر . رؤوسنا غمست في الارض .. في حين ان العصر ينطلق الى القمر ...
(وتسر لحظة صمت) .

الشاب الخامس : (يرفع رأسه ليتكلم لاول مرة) هل ادلكم على سبيل ؟

الثالث : اراهنكم .. انه سيقترح شيئا يتعلق بالتاريخ .. (المجموعة تضحك ضحكة خفيفة) ..

الخامس : (مؤكدا الفكرة) في تاريخنا حضارات عظيمة ..

الرابع : نعم حضارات عظيمة .. ولدت وماتت .. ولم يبق لنا منها سوى الحسرات .... وتلال من الاحجار .

الخامس : تأريخنا حافل بالبطولات ..

الاول : بل نحن لا تعنينا بطولات التاريخ في شيء .. الا ان نجعل من انفسنا بالونات مرة اخرى .. ونحلق في الخيال ..

الخامس : بل التاريخ حقيقة .. وقد نجد فيه المثال .. وربما تبعث فينا وقائعه الشعور بالكفاءة .. وبالقدرة على الفعل ..

المجموعة : نحن اكفاء .. وقادرون على الفعل .. ولكننا لا نملك الا أن نصمت ..

الشاب الخامس : انني اقترح التاريخ .. تسلية لا بأس بها ، تقطع الصمت، وتبقى لنا على القدر الضروري من الثقة بانفسنا . فنحن ابناء شعب عريق .. لنا تاريخ طويل .. تحفظه آلاف المراجع .

الاول : التاريخ عقيم ..

الخامس : بل ان التاريخ ولود .. وما نحن الا النتاج الاخير لتاريخ ارضنا كله .

الفتاة (٢) : نحن آخر العنقود .

(المجموعة تضحك ضحكة خفيفة)

الشاب الخامس : وظني ان التاريخ في النادر ما يكذب .

المجموعة : نحن أبناء العصر .. فكرتنا ان التاريخ في النادر مايكذب .. لكن فكرتنا ايضا .. ان التاريخ جبان .. عبد للسادة ومنافق ، وكثيراً ما ينسى أشياء .. أو يتناساها عن عمد .. حتى يبقى الحكام .. ومحترفو أكل الاكتاف .. وكذا قواد الجند ــ وان يكونوا خصيانا ــ وحدهم الابطال .

الشاب الخامس : لن تقــرأ التاريخ كما كتب يارفاق •• ولكننا سنعيد صنعه •

الفتاة (٢) : وكيف نعيد صنعــه •• وليس بوسعنا ان نعيده هــو نفســه ؟!

الشاب الخامس : اعني ان نعيد صياغته •• تتخيله على هوانا •• نرد اليه ما انقص منه •• ونستعيد منه ما لا نقبله •• بكلمــة مختصرة ، نصنع الحقيقة •

(المجموعــة تتشاور بالنظر)

الفتاة (٢) : لعبة سهلة •• لن تكلفنا شيئا •• وهي افضل من الصمت بالتأكيد ••

الشاب الرابع : تعني أن تنفث بغضبنا بعيدا •• نلقي بقنابلنــا في ارض خراب ••

الشاب الاول : أهي لعبة الخيال مرة أخرى ••

الشاب الخامس : هــو نوع من تدريب الخيال تدريبا عمليا على تشيل الحقائق •• نحن بحاجة الى خيال مدرب لنصنع شــيئا جديدا •• هــذا مفهوم ••

الفتاة (١) : هي لعبة صعبة فيما يبدو •• ولكن التسلية فيها محققة••

الشاب الاول : ولن نعرض فيها لانسان حي بســوء ••

الشاب الثاني : وبالتالي فلن نثير حولنا الاقاويل ••

الشاب الثالث : ولا صيحات الاســتياء ••

الشاب الخامس : فلنبدأ اذن ••

المجموعــة : لنبـــدأ ••

(وتمر لحظــة صمت وتأمل)

الفتاة (٢) : نحن لا نعرف كيف نبــدأ ••

الشاب الاول : اقترح الا نسافر بعيداً ... حيث رمسيس وأحمس .. فالمسافة طويلة الى هناك.. آلاف من السنوات المضببة..

الفتاة (٢) : واقترح ان نبتعد كذلك عن عصر كليوباتره ..فسيرتها تشعرني بالخجل ..

الشاب الثاني : كامرأة ..

الفتاة (٢) : كمصرية ..

المجموعـة : ما اكثر مافي التاريخ من قاذورات ، لا يمكن ردمها ، او التخلص منها .

الفتاة (١) : لا شيء اجمل من ان نتوقف عند عصر الفتوح الاسلامية فما اروعه من تاريخ !! . ان ذكر هذا العصر يجعلني انتفض من شعر رأسي حتى اظافر قدمي .

المجموعـة : (متأملة) الفتوح الاسلامية ..

الفتاة (١) : (مستطرده في حماسة) تصوروا شعبا صغيرا .. مدفونا في الصحراء .. شعبا لايزيد في التعداد عن شعب القاهرة اليوم .. هل كان يزيد .. تهبط عليه رسالة .. يؤمن بها ، فيحملها في قلبه .. ويحمل سيفه بيده .. وينطلق بها ليغزو العالم .. الشعب الضئيل ، المستسلم لقدره الصحراوي ، صار عملاقا فجأة .. يمشي فتتهاوى تحت أقدامه الممالك والامبراطوريات . حيثما وجه نظره .. أزال مدنا ، وانشأ مدنا ، ليشيد في النهاية دولة عظمى وحضارة ..

المجموعـة : (متأملة) الفتوح الاسلامية ..

الفتاة (١) : تصوروا جسدا واحدا يمتد من الاندلس في الغرب .. الى بلاد فارس في الشرق .. اليس هذا رائعا .. ؟ .. انا لا اذكر عدد الدول والجزر التي ابتلعها هذا الجسد.. هل تذكرون انتم ؟ .. فلنبدأ مـن هنا .. انها بداية ممتعة بغير شـك ..

الفتاة (٢) : (بعد سكتة قصيرة) ولنجعل النهاية ممتعة ايضا ..
الملك يتزوج من جاريته . او على الاقل .. يحبها ..

الشاب الخامس : نحن لن نلجأ الى التاريخ بحثا عن النشوة .. هذا
مفهوم ..

الشاب الاول : فلنفكر في عصر آخر اذن ..

الفتاة (١) : ان في هذا العصر .. المثال الذي نبحث عنه ..

الشاب الرابع : ان كان لابد وان تتابع اللعبة .. فانا اقترح ان نبدأ من
حيث بدأت نهاية دولة العرب العظمى ..

المجموعة : النهاية حزينة ..

الشاب الرابع : سنكون اكثر قدرة على تمثل النهاية .. فنحن الابناء
الشرعيون لها ... ومازلنا نحتفظ بطرف خيطها في
ايدينا ... انظروا ... هذا هو طرف الخيط ..
(ويشير بيده وكأنما يمسك بطرف خيط ..)

(وتمر لحظة صمت) .

الشاب الاول : ان النهاية اكثر تلاؤما مع حالتنا النفسية .. ومن السهل
علينا الخوض فيها .

الفتاة (٢) : امي تفضل الروايات ذات النهايات السعيدة .

الفتاة (١) : امها برجوازية جديدة ..

الشاب الثاني : امك ليست منا ..

الشاب الثالث : (الى الخامس) ومتى بدأت النهاية ..؟.. دلنا يا اخانا
المغرم بالتاريخ .

الشاب الخامس : (في استاذية) حين يعجز ملك الغابة عن ان يهش غرابا
ينقر في رأسه ... فتلك بداية نهايته ..

الشاب الرابع : بل ان هذه هي نهايته الاكيدة . لذلك فالنهاية تبدأ ، في
رأيي ، من يوم الميلاد ، فما من حي يولد الا وغرابه معه.

الفتاة (٢) : ان كلامكم يزعجني •• فانا لا احب الغربان ••

الشاب الخامس : ربما خانني التعبير •• فلأبحث عن تعبير آخر •

الشاب الاول : نهاية دولتنا الكبرى بدأت ، في رأيي ، وارجو الا اكون مخطئا ، منذ اول صراع على السلطة فيها •

الشاب الرابع : نعـم ، الصراع على السلطة ، هذا هو الغـراب الذي اعنيه • لقد ولدت دولتنا الكبرى اذن •• وغرابها على رأسها ••

الفتاة (٢) : فلتكفوا عن ذكر الغربان ••

الشاب الخامس : ليكن تعبيري اكثر تحديدا •• حين تمزق الصراعات احشاء امـة ••فهـذا يمرضها •• يستهلك قوتها •• يقعدها • فاما حـين يستثير واقعها هذا نهـم الذئاب المتربصة على الحدود •• فتكشف عـن أنيابها لتنهش فيها •• فهنا تبدأ النهاية • (وهو سعيد بهذا التفسير)•

الشاب الثاني : هي الحرب الصليبية بلا ريب •

الشاب الثالث : هجمات الفرنج بوجه عام •• في الشرق ، والغـرب ، وعلى جزر البحر •

الفتاة (٢) : ما اقسانا على انفسنا •• نحن نفتش عن الالم حتى في التاريخ •• لابد اننا مرضى ••

الفتاة (١) : نحن معقدون ياحبيبتي •• وحالتنا صعبة ••

الشاب الخامس : انتبهوا اذن يارفاق •• ركزوا اذهانكم في القرن الخامس للهجرة •• الحادي عشر الميلادي ••

(الجميع يركزون اذهانهـم بحركة مغالى)
(فيها بعض الشيء •• وتمر لحظة صمت)

الشاب الخامس : (مشيرا الى الاول) ماذا ترى هناك ؟

الشاب الاول : (وكانما يقــرأ على صفحـــة الافـــق) تجمعت خيوط المأساة •• وأحكمت التفافها حول الرقبـــة •• لتصنع المصير التعس لدولة العرب ••

الشاب الخامس : (الى الثاني) ففي الشرق ••

الشاب الثاني : سقطت فلسطين ، ومعظم ارض الشام في ايدي الفرنج•• ذبح مئات الالوف من المسلمين •• وطرد من عاش منهم •• وصار للبـــلاد امراء من الفرنج •• ولهـــم ملك في القدس •• واستقر لهـــم الحال •• ما يقرب من مائة سنة ••

المجموعـــة : (فيما عدا الفتاتين) والسادة يأكل بعضهـــم بعضا •• دسائس وخيانات •• القتل هو ايسر الطرق الى الحكم •• من يقتل حاكما يصبح حاكما •• والمحظيات يحكمن •• والشعب ما انفك يصلى ، ويدعو لله في صلاته ، ان يولي من يصلح •• والذئاب مازالت تنهش •••

الشاب الخامس : (الى الشاب الثالث) وفي الغرب •• ؟

الشاب الثالث : الصرح العربي في الاندلس ينهار •• وتتساقط البلاد في ايدي الفرنج •• بلداً بعد بلد ••

المجموعـــة : (فيما عدا الفتاتين) والقبائل العربية يأكل بعضها بعضا•• دسائس وخيانات •• من يقتل يحكم •• ومن لم يتمكن من أخيه •• استعان عليه بالذئاب •• والذئاب مازالت تنهش ••

الشاب الخامس : وفي البحر ••

المجموعـة : سقط البحر المتوسط ايضا .. صار ملكا للفرنجة .. ولم يعد بحرا عربيا .. وما بقيت لنا فيه جزيرة ، تستقبل مراكبنا المتعبة .

الفتاة (٢) : (صارخة) .. كفى .. ان كل شيء يبدو قاتما كئيبا .. انتم تخنقونني .. لم لانبحث عن شيء افضل ..

الفتاة (٢) : حتى في هذه القتامة .. كانت هناك لحظات مشرقة .. لا يمكن تجاهلها .. فمثلا .. عبدالرحمن الداخل في الاندلس .. صقر قريش ..

الشاب الخامس : جاء صقر قريش في وقت مبكر .. الكارثة استحكمت بعده ..

الفتاة (١) : عماد الدين زنكي .. صانع المنارة من جماجم الفرنج في مدينة الرها ..

المجموعـة : (من الشبان) نحن لاتعنينا الجماجم .. ولا المنارات .. نحن يعنينا المصير ..

الفتاة (١) : نور الدين محمود .. اعدى اعداء الفرنجة ..

المجموعـة : (من الشبان) كان بطلا كأبيه زنكي .. وهو ايضا لم يغير المصير ..

الفتاة (١) : (الى الشاب الخامس) هل من اصول اللعبة أن ندمر كل شيء .. كل شيء ..

الفتاة (٢) : انتم تطفئون الشمعات القليلة التي اضاءت في حياتنا .. تسدلون الظلمة على كل شيء .. وانا لا استطيع ان أتابع هذه اللعبة .

الفتاة (١) : لم يكن في هذا العصر كله ثائر واحد اذن ..

الشاب الرابع : انا لم اقل هذا .. ففكرتي ان التاريخ ، وهو ينافق السادة ، تجاهل الثوار عن عمد . فالثوارهم في العادة ، ضد الساده ..

الشاب الخامس : (في حيوية مفاجئة لانقاذ اللعبة) ومن هنا يارفاق .. تبدأ مهمتنا في اعادة صوغ التاريخ .. علينا ان نفتش عن هؤلاء الثوار .. فلابد انهم وجدوا بكثرة في الزمن الذي اخترناه ..

الفتاة (١) : وكيف تتعرف عليهم ، والزمن بعيد .. ولم يرد اسم واحدمنهم .. لا في المراجع .. ولا حتى في سجلات المدافن .

المجموعة : بالقرائن . ان عصرا تتمزق فيه امة عظيمة . يجهز السوس عليها .. تفقد هيبتها .. وتوشك تتعثر عثرتها الاخيرة .. لابد ان يشهد يوما .. ميلاد ثائر ..

(وتمر لحظة صمت)

الفتاة (٢) : فلنجعل هذا الثائر يظهر في ايام صلاح الدين .. ولنجعلهما يلتقيان .. فما اجمل ان يلتقي الاثنان . مارأيكم ..؟.. ان الايام التي صنعت صلاح الدين القائد .. كان من الممكن ان تصنع ثائرا ..

(المجموعة تفكر)

الشاب الخامس : انه طلب عادل على مايبدو لي .. وعصر صلاح الدين يناسبنا على اية حال .

الشاب الرابع : ولكني اكاد اشك في انهما سيلتقيان ..

الشاب الاول : هذا ظن سابق لاوانه .. فقد تكشف حفرياتنا عن شيء اخر .

المجموعة : (في لهجة تقريرية) الثائر يظهر في عصر صلاح الدين ..

الشاب الاول : وهو عربي بالضرورة !

الشاب الثاني : وهو بالطبع شاب ..

الشاب الثالث : ولابد وان يكون فارسا ..

الشاب الرابع : يكفي ان تتحقق فيه مثل الفرسان ..

الشاب الخامس : انه شجاع .. ذكي .. وأمين ..

الفتاة (١) : عنيد في الحق ..

الفتاة (٢) : (في لهجة انشائية) طويل القامة .. عريض المنكبين ..

المجموعة : لا يكذب ابداً ..

الشاب الاول : غير عاشق لذاته ..

الشاب الثاني : له قلب شاعر وحسه ..

الشاب الرابع : مفكر ..

الشاب الثالث : فدائي عند الضرورة .

الفتاة (٢) : وهو وسيم .. وليس له لحية .. ليكن بغير لحية .. ليكن كواحد منكم ..

المجموعة : وهو يعرف ما يريد ..

(تكشف دائرة من الضوء عن اسامة منتصبا)
(في اعلى التل في الخلفية)

الفتاة (١) : له ابتسامة جذابة .. فيها ثقة بالنفس ..(اسامة يبتسم).

الشاب الاول : ولكن وجهه لا يخلو من دلائل الاكتئاب •• فهو يعيش محنة امته ••وهي بلا شك تبعث على الاكتئاب •

(يظهر الاكتئاب على وجه اسامة)

الشاب الرابع : وهو قلق بعض الشيء •

(اسامة يتلفت حوله في عصبية كمن يبحث عن شيء)

الشاب الرابع : اقول •• انه قلق •• لا عصبي ••

(تهدأ حركة اسامة قليلا) •

الشاب الاول : وهو شامخ برأسه في غير تعال ••

(اسامة يشمخ برأسه في غير تعال)

الفتاة (١) : وهو مــع ذلك انسان •• يأكل ويشرب •• وينام •• ويخطىء احيانا في التقدير ••

الفتاة (٢) : ويرى احلاما •• ويحب •• بل اسمحوا لي ان اقول •• انه هو أيضا له غرائزه •• (وتفتش عن آثر كلماتها في الوجوه)

الشاب الخامس : وهو اذا مشي •• فله خطوة ثابتة لاتهتز ••

(اسامــة يمشي في خطــو ثابت عبر التل ويختفي في الظلام)

الفتاة (٢) : (في شرود) واني لأكاد المح في يده وردة ••

الفتاة (١) : وردة •• ؟ •• ولماذا الوردة •• ؟

الفتاة (٢) : اعطتها له حبيبته •• وهي تودعه ••

الفتاة (١) : هل كان مسافرا ؟

الفتاة (٢) : لابد انه كان راحلا •• ليثور ••

الشاب الثاني : (في تأمل) كان راحلا من أين •• والى أين ؟

الفتاة (٢) : ان له بيتا في ناحية ما من دولة العرب ••

الشاب الخامس : لاشك انه قادم من بعيد •• من اجل ان يلتقي بصلاح الدين ••

الشاب الثالث : انه قادم من ناحية يخنقها كابوس النهاية اكثر من غيرها

المجموعة : من الاندلس ••

الشاب الخامس : فأتانا فارس عربي •• من الاندلس •• من بلد لم يسقط في ايدي الاعداء حتى ظهور صلاح الدين •

المجموعة : من اشبيلية ••

الشاب الرابع : وهو لا يحمل وردة •• وانما يحمل كتابا ••

الفتاة (١) : ولماذا الكتاب •• ؟

الشاب الرابع : انه ثائر •• جاء يحمل فكرا •• فلابد وانه رصده بنفسه في دفتر كبير •

الفتاة (٢) : وردة وكتاب • فحين قفز على جواده ، وهم بالرحيل مدت حبيبته يدها بوردة حمراء •• وقالت ، وهي تبكي، لاتنس بثينة ••

الفتاة (١) : ليكن اسمه « أسامة » ان لاختي ولد أسمه أسامة •• وهو اسم عربي بلا جدال ••

الشاب الثاني : وان اسم « يعقوب » ليليق برجل من الاندلس ••

المجموعة : اسامة بن يعقوب ••

(تسقط دائرة الضوء مرة اخرى على)
(اسامة وهو جالس في اعلى التل)
(بيده كتاب كبير •• وهو مطرق)
(يفكر)

المجموعة : (الى الجمهور) أسامة بن يعقوب •• هو اسم فتانا الثائر • لن تجدوا له اثرا •• في فهارس او مراجع •• او على جدران قلعة •• ولا في نقش جامع •• او في ملاحم الشطار • لم يكن يوما خليفة •• او اميرا في ولاية •• او من رجال المناصب • فهو لم يحك الدسائس • لم يخن • لم يغدر •• لم يكن بوق دعاية •• او كلب صيد لحاكم •• لم يبع اهل داره باختياره من اجل منصب • لذلك لم يذكر اسمه •• في الوثائق والمراجع ••

الشاب الرابع : ولانه ثائر •• فهو يردد افكارا تقلق راحة الحاكم •• وتستثير غضبه •• ولهذا فأسامة غالبا ما كان مطاردا من رجال الشرطة •

(وتحين من اسامة التفاتة الى يسار)
(المسرح • ويبدو انه رأى شيئا ازعجه)

اسامة : ما زالت كلاب الصيد تتعقبني •• تتشمم الطريق الى مكاني •• ولا اظنها ستكف عن ملاحقتي حتى لو سرت الى نهاية الارض •• (يظهر اثنان من جنود اشبيلية يفتشان عن اسامة) لو وضعوا أيديهم عليّ في هذه المرة ايضا •• ذهبت آمالي جميعا ادراج الرياح •• وفقدت فكرتي فرصتها الوحيدة للحياة (يجيل بصره حوله يبحث عن منفذ) لابد من الافلات • فكيف افلت دون ان اريق دم واحد منهم (يتحرك ليختفي) انهم ابرياء ، مسلوبو الارادة ، وأن يكونوا كلابا • (يتوارى في مكان لا تقع اعين الجنديين عليه فيه بينما يستمر الجنديان في البحث عنه) ليس من الجبن ان اختبيء •• اذ ليس من الحكمة ان استسلم •• سأراوغ حتى أفلت فلن ادع اي شيء يعوقني عن الرحيل الى الشرق • سأرحل الليلة حتما • ولن يؤذن الفجر الا وانا اجتاز

البحر . وما هي الا ايام حتى التقي بصلاح الدين وجها لوجه . تتعانق يدانا .. وروحانا ، وتتحادث .. يحدثني عن انتصاراته .. وأحدثه عن احلامي .. واسلمه فكرتي ليمنحها سيفه .. انه الامل الذي اشرق في قلب اليأس بسيفه وفكرتي ، ستصبح الجنة ملكا لامتنا في الارض.

(يظلم المسـرح)

(يرتفـع في الخلفيـة ضجيج شديد .. تعلو خلاله صيحات .. النصر .. وهتافات باسم صلاح الدين .. وتشمل المسرح حركة هوجاء مضببة ، لجند منتصرين .. وجند مهزومين . باختصار ، تشهد لوحة عارمة ، وان تكن غير كاملة الوضوح ، لساعة نصر في موقعـة كبيرة) .

(يضاء المسرح ، فنرى عماد الدين المؤرخ في الجانب الاخر من المقدمة يتأمل ما حوله ، ويفكر ويملي «زياد» الذي جلس على الارض ، بيده ريشة وبجواره محبرة ، وعلى حجره دفتر يكتب فيه ما يملى عليه . هدأ الضجيج في الخلفية .. وان لم ينقطـع ، فنحن نسمعه بوضوح خلال لحظات الصمت .. بين وقت واخر تظهر من اليسار مجموعة من الاسرى ، وقد قيدوا بحبال يجرهم جندي عربي او اكثر.. فهم يمضون متهالكين منكسي الرؤوس، وقد هدهم القتال والحر والعطش وذل الهزيمة .. وكل مجموعة تمر تختفي في يمين المسرح .. لتظهر ثانية فوق التل ، مارة بخيمة صلاح الدين .. وتعبر التل لتختفي مرة اخرى في اليسار .. فيما عدا من يظهر من امرائهم وملوكهم فهم يقادون الى خيمة صلاح الدين) .

زيـاد : (يقرأ ما سبق ان املاه عليه العماد) جاء يوم الجمعة ، رابع عشري من شهر ربيع الاخر .. والفرنج سائرون

الى طبرية •• بقضهم وقضيضهم •• وكأنهم على اليفاع في حضيضهم •• وقد ماجت خضارمهم •• وهـاجت ضراغمهم ••

العمـاد : (يتابع الاملاء) وقد وقدت الهاجرة ••

زيـاد : (يقرأ ماكتب) وقد وقدت الهاجرة ••

العمـاد : نعم ••• وقد وقدت الهاجرة •• (يملي)•• فألهبت الفئة الكافرة •• (يتوقف) بل انتظر •• اضرب على هذه العبارة •• (يمسح العرق عن وجهه بكمه) •• فلقد ألهبتنا شمس الامس جميعا •• لم ترحم أيـاً من الفئتين •• لقد كادت تقتلني انا نفسي •• لولا ان هيأ الله لنا ماء هذه البحيرة ••

زيـاد : (يقرأ ثانية) وقد وقدت الهاجرة ••

العمـاد : نعم •• (يملي) •• وحجز الليـل بين الفريقـين •• (يتوقف •• العبارة لا تعجبه ولكنه يصر عليها) والله لأتركن هـذه العبارة غير مسجوعـة •• اكتب ياغلام (يملي) وبات الاسلام للكفر مقابلا ••

زيـاد : (يكتب) ••• مقابلا ••

العمـاد : والهدى للضلال مراقبا ••

زيـاد : (يكتب) ••• مراقبا ••

العمـاد : (يبحث عن عبارة يضيفها) •• و •• و••

زيـاد : (في معاونة للشيخ) والايمان للشرك محاربا ••

العمـاد : محاربا • لابأس • اكتبها •• فهي ان لم تنفع •• فلن تضـر ••

زيـاد : لـو أذنت لي ياسيدي •• قلت كلمة •••

العمـاد : قل •• وأوجز ••

زيـاد : (مقلبا الصفحات التي انتهى من تسويدها) لقد سودنا عدة صفحات عن الموقعة •• ولم نصل بعد الى الجوانب الهامة منها • بل اننا لم نعرض حتى الان لشيء مـن أحداث الامس •• وهي كثيرة ••

العمـاد : ان الكلمات لتعجز امام حدث جلل كهذا • السـجع يسد علي الطريق • وددت لو انطلق بـلا قيـود •• فأسـجل كل ما رأيت واحسست • ان الحماسة تضيع فيما ابذل من جهد لتطويع الكلمات ••

زيـاد : فلنهمل السجع ياسيدنا •• ولنتابع الكتابة بما يوحى به الخاطر ••

العمـاد : ليتني استطيع يا زياد ••

زيـاد : وما الذي يمنعنا ياسيدنا •• ؟

العمـاد : اصول الكتابة ياغلام •• علمتك ان للكتابة اصولا •• لو تخلينا عنها •• ما بقى لنا شيء نذكر به • لابد وان نترك للاجيال القادمة ادبا تعرفنا منه •

زيـاد : نعم •• نعم •• (ثم في تردد) •• ولكني اكاد المح في الاجيال القادمة ••• البعيدة منها على الاقل •• اصولا اخرى للكتابة ••• وقد يرون في طريقتنا التزاما بمـا لا يلزم •• وربما ضاقوا بها •• وبنـا •••

العمـاد : ولكنهم لن يروا فينا شذوذا •• فنحن لن ننفصل عن ايامنا يازياد ••

زيـاد : لعل الخير في أن تكون لنا طريقتنا الخاصة ياسيدنا •• ولعل ذلك ادعى لان تعيش كلماتنا زمنا اطول ••

العمـاد : ستعيش كلماتنا اطول زمن ياغلام •• ستبقى ما بقيت ذكرى هذا النصر في الاذهان • وذكرى هذا النصر لن تنقضى ابدا • فلن ينسى الدهر ، ان صلاح الدين مزق ثوب العار عن هذه الامة •• في ليلة صيفية ، عند بحيرة

طبرية . لن ينسى وقفته على هذا التل شامخا .. راسخا يرقب جنده ... وهم ينقضون على جبل حطين كالصواعق .. وهم يندفعون الى القمة بجيادهم كالنسور .. لينزلوا الهزيمة بجيوش الفرنج مجتمعين .. (وقد هزه الانفعال) ما ارتفع نداء « الله اكبر » منذ فتوح الاسلام الاولى مثلما ارتفع ليلة أمس . كان الجبل يردد مع الرجال « الله اكبر » .. فتهتز به الارض وتكاد تنفجر .. ان الايمان هـو صانع المعجزة ياغلام ..

(يلتفت بكل كيانه تجاه خيمة صلاح الدين صارخا وقد التهب حماسـا) .

لله درك ياصلاح الدين .. يامن عز بك الاسلام ...

(ويتردد صدى الهتاف في المكان .. ثم يخيم الصمت).

زيـاد : (في هدوء) هذا هو ياسيدنا .. ما اقصده بما يوحى به الخاطر .

العماد : (وقـد ثاب الى هـدوئه) ولكنـه كـلام يقـال ولايكتب ... تعلم هذه ايضا ... (وكانت مجموعة من الاسرى قد ظهرت يجرها جنديان عربيان) لقد بدأ السلطان ابو المظفر يستعرض اسـراه .. وينبغى ان تكون على مقربة منه .. فلنعجل ..

زيـاد : (وهو يرقب طابور الاسـرى) لا اظنه سينتهي مـن استعراضهم قبل مساء غد .. كم تظن عدد الاسـرى ياسيدنا ؟

العماد : لـو شـئنا ان نحصيهم .. ما انتهينا من ذلك قبل نهاية جمادي .. عدد لا يحصى .. وكأنه لم يقتل منهم احـد .. وكأن جبـل حطـين لم يتغط بالجثث .. (في عجلة) .. اكتب يا زياد .. اكتب ..

(زياد يمسك بريشته في حيوية)

العمـاد : (يسلي في ابهـة) ويرز البيض مـن ملئها .. في الملأ عاريه .. فرجا الفرنج .. فرجا ..

زيـاد : (يكتب) ... فرجا ..

العمـاد : وطلب طلبهم المحرج مخرجا ..

زيـاد : (يكتب) ... مخرجا ..

العمـاد : فكلما خرجوا .. جرحوا ..

(زياد يكتب ، وتحين من العماد التفاتة الى طابور جديد من الاسـرى .)

العمـاد : (وقد لفت نظره اسير رافع رأسـه) ان بينهم رجلا رافع رأسه .. لقد اخل بالصورة التي انوى ان اسجلها عن حال الاسرى .. (ويندفع الى الاسير فيدفع رأسه الى اسـفل في رفـق) اخفض رأسـك ياأخي .. لا توقعني في الخطـأ ..

(بينما هـو يستدير ليعود .. يسمع صهيل جـواد قريب على يمـين المسـرح .. فيسـتلفت نظر كل من العمـاد وزياد) .

يقتحم اسـامة المسـرح .. يخطو خطوتين ويتوقف ، وقد علق بصره بأعلى التل .. وهو متمنطق بسيفه ، متأبط صرة بها كتابه .. وتمر لحظة صمت) .

اسامـة : (مبهورا) لقد انتصر جيش صلاح الدين .

(تعلو هتافات الجند المنتصرين في الخلفية) .

اسامـة : حقا .. لقد انتصر ...

العمـاد : وكأنما كان يتوقع ان نهزم ..

اسامـة : (منتبها الى وجود العماد) سـلام الله عليك ياشيخ ..

العماد : (مازال في دهشته) وعليك السلام ..

اسامة : اري اننا انتصرنا ..

العماد : وهل كنا نتقابل الان لو لم ننتصر .. (يضحك في استخفاف) ما كنت لتتعرف عليّ وأنا مقيد اجر في مسيرة شؤم كهذه .. (ويشير الى طابور الاسرى الثاني وكان قد ظهر فوق التل .. ويبتسم اسامة) .

اسامة : (في اعجاب كبير) لقد صح ما سمعنا من انباء هذا القائد ..

العماد : (يتفحص اسامة في تدقيق) انت تحمل سيفا .. ومع ذلك لم تكن بين جنوده .. فلو كنت معهم لشاركتهم صنع هذا النصر .. وما كنت لتدهش ..

اسامة : أنا لم اتاخر كثيرا فيما ارى ..

العماد : حقا .. ؟ .. فانت ممن لا يرون الا عند الحصاد ..

اسامة : ليست غنائم الحرب هي التي تعنيني على اية حال .. (مشيرا الى الاسرى) الى اين يمضي هؤلاء الاشقياء ؟

العماد : لقد منحهم سلطاننا المظفر شرف الفرجة عليهم .. هاهو ذا هناك يتفرج عليهم .. اتراه .. ؟

اسامة : (يلقي نظرة الى حيث اشار فتتملكه دهشة شديدة) هو اذن صلاح الدين ؟ ما كنت اتخيل صورته الا كما اراه الان .. انه هو .. نعم ، هو ..

(ويهم بالاندفاع تجاه التل)

العماد : (يمسك بذراعه يستوقفه) انتظر يافتى .. انتظر .. ان امرك يحيرني بعض الشيء ... فمن تكون .. ؟

اسامة : (وهو شارد الذهن يحدق في صلاح الدين) .. انني .. اسامة ..

العماد : (في حيرة) اسامة .. ومن يكون اسامة .. ؟ .. (الى زياد متهكما) هل تعرف علما بهذا الاسم ياغلام..؟

زياد : (يجيب بابتسامة .. وقد شده الموقف ، فهو يقترب من اسامة يمعن النظر فيه ..)

اسامة : (وهو ما يزال في شروده) انا اسامة بن يعقوب ..

العماد : بن يعقوب .. ؟ والله مازادني اسم ابيك الا حيرة ..

(ويخطو اسامة نحو التل)

العماد : (وهو يمسك به ثانية) فلتوضح لي معنى هذا كله .. تحمل سيفا ولا تحارب .. وتأتي بعد النصر لتطابق صورة في خيالك بصورة السلطان .. وتهم بالانطلاق اليه لتفسد عليه ساعة نشوته .. ولك اسم لم نسمع به من قبل .. اسامة بن يعقوب .. فما معنى هذا ؟ هل انت دسيسة . ؟

اسامة : انا لم أحمل سيفي اليوم لاحارب ..

العماد : هو سيف من الخشب اذن ..

اسامة : (وهو يسحب سيفه فجأة فيرتد العماد في ذعر) انه كأقسى ما يكون السيف .. وقد حملته لاواجه به من يعترضني من قطاع الطرق .. (ويرد السيف الى غمده) ولست دسيسة ..

العماد : (الى زياد) اتفهم شيئا من هذا يازياد ؟

زياد : (مشيرا الى الصرة التي يحملها اسامة) ربما لو عرفنا ما بداخل هذه الصرة .. فهمنا غرضه ..

العماد : (يتأمل الصرة) أهو طعام يافتى .. ؟ .. ربما كان طعاما مسموما ..

اسامة : انه كتاب .. (ويفك الصرة عن الكتاب) .

العماد : سيف وكتاب (في تهكم) وانت بالطبع لا تقرأ .. وانما حملته لتواجه به من يعترضك من اهل الحكمة ..

اسامة : انا صاحب هذا الكتاب .. اعني أني كاتبه ..

زياد : (في اهتمام) اهو كتاب في الادب ؟

العماد : او تريد السلطان من اجل هذا ؟ .. انصحك بأن تنجو بنفسك يابن يعقوب .. فان ابا المظفر قاطع رأسك لا محالة .. سيحنقه ان يرى شابا مثلك .. معه سيف كسيفك .. وله فرس كفرسك .... واسمه اسامة .. يجبن عن الظهور في الساحة حتى ينتهي القتال .

اسامة : انا لم اجبن عن الظهور في الساحة قبل الان ياشيخ .. ولكني جئت متأخرا .. فالطريق طويل ، والفرنج على جانبيه يتربصون بالمارة من العرب .. وانا غريب فيه ..

العماد : ولكنك قلت منذ هنيهة .. انك لم تحمل سيفك لتحارب .. (الى زياد) ألم يقل هذا ؟ (ثم الى اسامة) هل تنكر ؟

اسامة : لقد جئت لمهمة اخرى لابد وأن أنجزها .. وهي اشد خطورة من ان ارفع سيفي لاقاتل .. ومهمتي عموما .. لاتبدأ الا من حيث ينتهي القتال ..

العماد : (الى زياد) انه لا يفتأ يقول الغازا .. (الى اسامة) خذ بنصيحتي .. وعد الى دارك في الحال يا اسامة .. فصلاح الدين لن يتوقف عن القتال حتى يسترد القدس .. (الى زياد) هيا ياغلام .. فلنتم ما بدأناه .. (ثم هامسا) مسكين هذا الشاب .. صحيح الجسم ، حلو الصورة ، ولكنه وأسفاه ، (ويشير بيده اشارة تعني انه مختل العقل . ثم تباغته فكرة) قل لي يابن يعقوب .. من اين اتيت .. ؟ اقاهري انت .. ؟

اسامة : هه .. لا .. انا من اشبيلية ..

العماد وزياد : (معا في دهشة) من الاندلس ..

(تمـر برهـة صمت)

العمـاد : ما أكثر ما تخونني فراستي هذه الايام .. كان يتحتم علي انافهم منذ البداية انه اندلسي (في صخب مفاجيء) مرحبا بأهل الاندلس .. مرحبا بالاحبة البعيدين .. أهلا بك في دارك يابن يعقوب ...

(ويأخذ اسامة بين ذراعيه في حرارة)

زيـاد : كنت احس بأن ثمة سرا هائلا يخفى علينا .. (ويشد على يد أسامة) مرحبا بك يا أخي ..

العمـاد : انا لـم اتنبه الى انك مـن الاندلس يا أسامة .. فلا تؤاخذني . والله لا سجلن لقائي بك اليوم فيما اسجل من احداث جسام .. انه لفأل طيب ان تحل بارض الشام في ساعة انتصر فيها اخوتك .. سيطرب السلطان حين يلقاك .. الست أميرا من امراء الاندلس ؟ . ان الامراء فيها كثيرون .. فهل انت واحد منهم ؟

اسامـة : ما انا الا واحـد من عامة العرب هناك .. وكان ابي نجارا ..

العمـاد : (مجاملا) من الانبياء من كان نجارا ..

اسامـة : وقد قتل في فتنة بين اليمنيين وبني مضر ..

العمـاد : ان خمسمائة سنة في الاندلس لم توحد بين الفريقين .. أأنت من أصل يمني .. ؟

اسامـة : بل انا من بني مضر .

العمـاد : نعم العربي انت .. فجذورك ضاربة في ارض الحجاز نفسها . لم يخب ظني فيك والله . فلقد رأيت فيك من

الوهلة الاولى رجلا •• لا اقل من ان يكون من بني مضر ••

اسامة : (بعد ابتسامة سريعة) ليس اسم بني مضر بالترنيمة التي ترضيني •• فانا عربي في المقام الاول ، اندلسي في المقام الثاني • أما انتمائي الى بني مضر فما أظنه يغير من هذا او ذاك •• او يضيف اليه شيئا •

العماد : (يختلط الامر عليه لوهلة) نعم •• نعـم •• انت على حق ••

زياد : هذا ما أقوله عن نفسي بوصفي مضرياً •

العماد : (الى زياد) أنت لست من بني مضر •• (ثم الى اسامة) وكيف حال اخوتنا هناك ؟ وما اخبار قرطبة وغرناطة •• واشبيلية ؟ هل سقطت في ايدي الفرنج هي الاخرى ؟ يقولون ان الفرنج التهموا ارض الاندلس •• فلم يبق لكم منها سوى دائرة ضيقة•••تعيشون فيها كالاسرى• أهذا حق يا أسامة •• (أسامة لا يجيب) لابد انه حق••

زياد : (في الم) ويقولون ان ملوك الفرنج كانوا يبيعون الاسير من المسلمين بزق صغير من الخمر •• هل هذا صحيح••؟ قل انه غير صحيح يا اخي •• (اسامة يحملق فيهما في صمت) •

العماد : ويقولون انهم حـولوا جوامعكم إلى خمارات وبيوت دعـارة •

زياد : وان الخمور التي يبيعونكم بها هي من صنع ايديكم ••

العماد : اجل •• بعد ان تحولتم من الفروسية •• الى صناعة الخمر ••

اسامة : (صارخا) كفى •• كفى ••

(وتمر لحظة صمت يسـمع خلالها ضجيج النصر في الخلفية ••• مع ظهور طابور جديد من الاسرى) ••

العمــاد : ماذا دهاكم يا أسامة .. كيف ذاب الصرح الشامخ في أيديكم ..؟ لم لا تجيب بغير .. «كفى» ..؟ ان ابناءكم التي تحملها رياح الغرب الينا تلهب قلبي بسياط من نار.. ظننت لما اسمع من انباء هزائمكـم ، ان اجسـادكم ضمرت .. وصارت في حجم فئران حواليت الخمر..

(صــمت)

اسامــة : (في مرارة) لا تقس علينا ياعـم .. فما الاندلس الا عضو مبتـور من جسد ضرب فيه العفن .. وسرى فيه الدود .

زيــاد : (مشـدوها) يعني دولة العرب ..

(يعلو ضجيج النصر في الخلفية ... مع ظهور طابور الاسرى ــ الاخير ــ فوق التل) .

العمــاد : لتخلع على الاندلس يا اسامة ، ما شئت من صفات .. اما عن نصيبنا من الجسد فهو ما يزال بخير .. نعم ، ما يزال بخير . وما أخاله سيصل بعد اليوم الى ما وصل اليه جانبكم من هوان .. (مزهوا) ها نحن قد انتصرنا هنا .. انظر بعينيك تشهد .. الاف الاسـرى بينهم ملوك الفرنجية انفسهم . لن تستطيع ان تحصيهم حتى نهاية جمادي الاخر .. جرب ان تحصيهم .. لقــد تجمعت جيوشهم باسرها لتنهي كلمتنا .. فانظر ما فعل بهم الملك الناصر .. لقد أنزل بهـم ضربة لاقيام لهـم بعدها .. ضربة واحدة ، قضت على كل مافي ارضنا من دود .. جرب ان تحصى قتلاهم ايضا .. اتحداك ان تحصيهم .. انها خاتمة حكايتهم في ارضنا يافتى .. لن يستغرق الامر من أبي المظفر بعد ذلك أياما . سيمضي فيطأ حصونهم وقلاعهم التي خلت من جندها ، حصنـا بعد حصن .. وقلعة بعد قلعة .. لن يكلفه الامر اكثر

من ان يمد يده ، فتتساقط البلاد التي اغتصبوها كما يتساقط الثمر الناضج من افرع الشجر .. حوران والجولان .. وبيروت وعكا .. ارضنا كلها .. الناصرة .. وحيفا .. وغزة .. والقدس .. ان القدس هي غايته القصوى .. وهي غاية كل مؤمن .. وماعاد يفصلنا عنها سوى زمن المسير .. اتسع .. زمن المسير ..

(وكان قد ظهر من اليسار جنديان عربيان يجران اسيرا يبدو ذا اهمية خاصة .. فيلتفت اليهم العماد فجأة هاتفا) .

العماد : من هذا يافرسان ؟

الجنديان : هذا أرناط أمير الكرك ..

زياد : (في حقد) اهو انت ارناط .. ؟

العماد : (الى الجنديين) انتظروا بالله برهة ...

(وينقض العماد على الاسير ، فيشد رأسه من شعره ليدير وجهه ناحية اسامة) .

انظر الى هذا الوجه ياأندلسي .. تمعن فيه .. انه أرناط ، أحقر أمراء الفرنج واشدهم عسفا وغدرا . هو أمير وقاطع طريق .. لقد جرد جيشا ليغزو مكة والمدينة .. هذا الجرو الاجرب .. كان يبغي ان ينبش قبر الرسول الطاهر .. فتأمل كيف هو الان .. (الى ارناط) ما اتعس مصيرك ايها الفاجر .. (ويدفع رأسه فيمضي به الجنديان) لقد نذر صلاح الدين أن يقتله مرتين اذا ظفر به .. وسترى بنفسك ما سيفعله برأسه الفاسد فوق هذا التل .. من المؤسف حقا انه ليس له سوى رأس واحد .

زياد : وذا امير أخر منهم .. (يظهر جنديان بأسير آخر) .

العمـاد : ومن هذا يافرســان ؟

الجنديان : أنـه ملك القدس .

زيـاد : (مشمئزا) أهذا ملك .. ؟

العمـاد : (الى اسامة) الفرنجي « كي » .. هذا هو اسمه .. « كي » .. (الى الاسير) وددت لو اصنع منك فطيرة يا ملك الدود .. (الى الجنديين بينما هما يتابعان السير) واين بقية امرائهم .. ؟

الجنديان : من عاش منهم .. يأت بعدنا .. (ويختفيان بالاسير) . (ويظهر الجنديان السابقان وارناط على قمة التل .. ويختفيان به في خيمـة صلاح الدين .. بينما تتعالى الصيحات) ..

اقتلوا ارناط ..

اقتلوا الامير اللص ..

(وتمـر لحظـة صمت)

العمـاد : (في شعور بالظفر) أرأيت .. ؟ هـذا هـو حالنا في الجانب الشرقي .. فلتحدثنا عن احوالكم في الغـرب يا بن يعقوب . حدثنا بصراحة تشبه صراحتي ..

اسامـة : (بعد برهة تأمل) أتعرف فيم افكر ياشيخ ..

العمـاد : ليتني اعرف ..

اسامـة : افكر في مئات القصائد التي ستكتب بعد هذا النصر .. كل ما حوته لغة العرب من ألفاظ الملق ، وكلمات التمجيد والتفخيم ، وجميع مشتقاتها ، وقد رصت بعضها بجوار بعض ، موزونة مقفاة ، تلقى في حفـل عظيم يشهـده السـلطان .

العمـاد : لن تحرم الشعراء فرحتهم بالنصر يا الدلسي .. (ويلقى نظرة في أعقاب ملك القدس فيصيح) .

أخفض رأسـك يا كي ..

اسامـة : افكر في المنابر ، ورجال الكلام يتسابقون اليها ، يعرقل بعضهم بعضا ، ويشـد بعضهم اذيال بعض .. يهللون، ويكبرون ، ويصرخون ، حتى ينفد قاموس الكلمات ، فيعيدون نفس الكلام باصوات اكثر حدة ، حتى تبح اصواتهم .. فلا يعود بوسع أحد أن يسمعهم ..

العمـاد : من حق الناس ان يعلنوا فرحتهم ولو بصياح لا يفهم .

اسامـة : أفكر في السلطان ، وقد لفه اعصار الكلمات .. اياما واياما واياما .. حتى اصابه الدوار .. ولم يعد يمتلك من وقته برهة ، برهة صغيرة ، ليفكر فيما يحسن صنعه للامة بعد هذا النصر ..

العمـاد : (مستفزا) اتراك جئت لترشد السلطان الى ما يحسن صنعه يابن يعقوب .. ؟ ..

اسامـة : هل اطلعك على سـر ياشيخ .. ؟

العمـاد : سـرٌ آخر .. ؟ ..

(يظهر جنديان بأسير مهم ثالث)

اسامـة : (في هـدوء) أنا ما جئت الا لارشـد السـلطان الى مايحسن صنعه .. بعـد النصـر ..

(صعق العماد .. وكذلك زياد ، بينما ابتسم اسامة في ثقـة)

العمـاد : أنت ؟ ! .. انت يا اندلسي .. ؟ ترشد السلطان الى ما يحسن صنعه ؟ .. السلطان ..

اسامة : النبي محمد .. كان يقبل المشورة من اصحابه ..

زياد : هذا صحيح ياسيدنا ..

العماد : (يرتبك لوهلة) نعم .. من اصحابه .. ولكنك لست من أصحاب السلطان .. نحن اصحابه .. ولست واحدا منا .. ثم انك مازلت اصغر من ان تنصح سلطانا يابن يعقوب ..

اسامة : فلنستخدم تعبيراً آخر .. لنقل مثلا .. اني جئت اطرح امامه فكرة ..

العماد : فكرة .. ؟

اسامة : فاذا كانت فكرة طائش جاهل .. فان له من الحكمة ما يجعله يرفضها .

العماد : أنت تنشىء افكارا للسلاطين .. هذا حسن والله . (في استخفاف) افكرتك في هذا الكتاب ..

اسامة : نعم ..

العماد : هم .. اندلسي طموح .. لقد فهمتك كل الفهم .. ضاقت بكم الارض في الغرب .. فسعيت الى الشرق في زمن تتسع لنا فيه الارض ..

اسامة : انا ما جئت لالتمس شيئا لنفسي .. فان شاء السلطان، بعد ان ابلغه الرسالة ، ان يستبقيني .. فليجعلني جنديا صغيرا في جيشه .. وان شاء اسلمني الى جنود امير اشبيلية ..

العماد : (ساخرا) جنود امير اشبيلية .. ما اكثر ما ينطق هذا الفتى من طريف القول ، جنود امير اشبيلية .. (ملتفتا حوله) اين هم .. انا لا ارى حولي سوى جنودنا المنتصرين ..

زيـاد : (بانفعال) اكاد اقطع بصدقه يا سيدنا .. ما من شيء يدفع انسانا لان يتحمل مصاعب كل هذا السفر الا وان يكون امرا عظيما . دعنا ننظر في كتابه ياسيدنا ..

العمـاد : نضيع الوقت لننظر في كتاب يعلم الله ما فيه .. ماذا تتوقع ان يكون فيـه .. ؟ (الى اسامة ساخرا) اهو قرآن جديد يا اسامة .. ؟

اسامـة : انه ليس قرآنا .. لنقل : انه .. حلم ..

العمـاد : (الى زياد) ارأيت .. (الى اسامة) اسمع يا اندلسي .. ان الاسـد الرابض هناك فوق التل لا يهتم بالاحلام .. وانما يعرف طريقه بعينيه .. وهو ينفذ في الواقع ما يبدو للناظرين كالحلم .. كهذا الذي تراه الآن .. (يشير الى النصر) فاحمل كتابك يابني وعد لدارك .. فوالله ما ضيع الاندلس سوى احلام المرفهين فيها .. واوهام مخموريها .. (الى زياد) هيا يا غلام ..

اسامـة : لا اشـك في ان السلطان سيفهمني .. ان مـن يحب أمته كل هذا الحب .. لهـوا اقدر الناس على فهمي.. (ويهم بالمضي الى صلاح الدين) .

زيـاد : (يعترض طريقـه) .. لا .. لا تذهب اليه وحـدك يا اخي فهو لا يستقبل الغرباء .. خاصة اليوم ..

اسامـة : فلأبحث عن وسيلة اليه .. لابد أن يقرأ كتابي هذا قبل ان يدخل القدس .. وقبل ان يبتلعه اعصار الكلمات .. وزحام السادة . لابد من وسيلة يازياد .. فما اتيت من اجل لا شـيء .

العمـاد : (وقد اختلطت مشاعـره ازاء اسامة) ما اغرب هـذا الفتى .. لا ادري لماذا نكبت به اليوم .. كان يكفيني ما ألقي من عنت الطقس .. (متنهدا) ياالضعف قلبي

تجاه اهل الاندلس .. أرني هذا الكتاب يافتى ..
لعلي واجد فيه طرفة جديدة تضحكني .. فطرف ابن
يعقوب لا تنفـد ..

(زياد يتناول الكتاب من اسامة في حركة نشطة)

اسامة : (الى العماد) ارى ان حرفتك الكتابة .. وهذا يجعلني اتفاءل .

العماد : (وهو يأخذ الكتاب من زياد) ولكنني لا اكتب اشياء كالتي تكتبها .. فأنا اكتب وقائـع .. (يزن الكتاب في يده) كتاب في هـذا الحجم ، لا ينتهي الانسان من قراءته الا وقمر شوال مكتمل الاستدارة . سأتصفحه يا اندلسي ، فان ورائي مهاما اخرى أكثر جدوى . هل جعلت له عنوانا ؟ ما عنوانه ؟

اسامة : باب الفتـوح .

العماد : (كان ينتظر اسما اطول) اهـذا هـو كل العنوان .. عنوان كتاب من لفظتين ؟ بداية لاتبشر بالخير .. وماذا تعنى باب الفتوح ؟

اسامة : اعنى .. ان الامة لن تقـوى ..وتستعيد مكانتها وهيبتها .. الا اذا هي صوت منه ..

العماد : (مشدوها) من هذا الكتاب .. ؟ .. (مـع ضحكة ساخرة صغيرة) اندلسي مغرور (ويختار مكانا يجلس فيه استعدادا للقراءة وينسحب زياد خلفه يسترق النظر الى صفحات الكتاب . بينما يتشاغل عنهما اسامة يتأمل ما حوله والتحديق في اعلى التل) .

العماد : (يفتح الكتاب فيرى مايدهشه) ما هذا ؟ .. (يتناول ورده ـ حمراء جفت لطول ماحفظت) وردة حمراء .. (يشمها) لعلها افضل ما فيّ الكتاب ، (يعيد الوردة الى مكانها ، ويركز عينيه على احد السطور) .

الشاب الخامس : (في متابعــة لحركة عينى العماد وكأنما يقرأ معه) •• جفت حقول القمح •• قبل أن تنمو السنابل •• ومــا عادت الابقار تعطي اللبن •

المجموعــة : امشيئة الله ان تقتلنا جوعا •• ام انا اذ شئنا ان نلهو •• لم نرو حقول القمح •• وغفلنا عن اطعام الابقار •

العمــاد : هذه فزورة ••

المجموعــة : وحلها في السطر التالي ••

(العماد يدس عينيه في السطور)

الشاب الرابع : اني امنح الله قلبي عن طيب خاطر •• اما ارادتي فاني احتفظ بها •• طالما اني مسئول عما افعل ••

(العبارة تدهش زياد وتدفعه للتأمل)

العمــاد : (في استياء) ما شاء الله •• ان الفتى يتطاول على خالقه• خيب الله سعيك يابن يعقوب •

(يمر طابور من الاســرى يلاحقه اسامة بنظره •• ثم يستقــر على صخرة صغيرة في جانب •• بينمــا يقلب العماد عددا من الصفحات) •

المجموعــة : (وقد استقرت عينا العماد على احد السطور) اني احمل رسالة ••

العمــاد : ( ) ويستخدم لغة الانبياء •

المجموعــة : ورسالتي تنطق باسم العبيد ••

العمــاد : ضعف الموكل والوكيل •• (ويقرأ) ••

المجموعــة : عبيد الامة صنفان :

العمــاد : ما اعرف الا صنفا واحــدا •• الا اذا كان يجعل مــن الجواري صنفا خاصا •• (ويقرأ) ••

المجموعـة : صنف يباع ويشتري في اسـواق النخاسين ، وعبيـد بالخوف وبالحاجة ..

الشاب الاول : وذا هو حال الناس جميعا في امتنا .. الا السادة مـن اتباع الحاكم ..

المجموعـة : والسادة مهما زادوا .. فهم قلة ..

العمـاد : ان هذا الفتى يحقد على السادة ..

المجموعـة : بل انه يحب العبيد ..

العمـاد : ويجعل من الاحرار عبيدا

الشاب الرابع : كيف اكون حرا وانا جائع ؟

الشاب الثالث : ذليل ككلب ضال ..

الشاب الرابع : محتقر ..

الشاب الاول : خائف ..

الشاب الثاني : يؤرقني شعور باني مطارد .. حتى في احلامي ..

الفتاة (١) : لا وقت لدى لكي أحب ..

الفتاة (٢) : ولا لكي استمتع بالنظر الى القمر ..

الشاب الثالث : ادوس وجهي في صناديق القمامة ابحث عن كرامتي .. التي ضاعت ..

العمـاد : انا لا افهم ما الذي يهدف اليه من وراء هذا كله .. ؟

المجموعـة : الاجابة في السطر التالى .. (العماد يقرأ) ..

الشاب الخامس : (مع حركة عيني العماد) المركب توشك ان تغرق .. ولكي ننجيها لابد وان تتخفف من بعض الاثقال ..

المجموعـة : ووسيلتنا .. اعتاق عبيد الامة .. لايوجد بلد حر .. بغير شعب حر ..

العماد : ما توقعت من الاندلس خيرا .. (يقرأ) ..

المجموعة : ما من شيء يدفع عبدا ان يستشهد .. ليصون الحرية للاسياد ..

الشاب الاول : ان يحمي ارضا لا يملك فيها شبرا ..

الشاب الثاني : ان يحفظ عينا لا يعطي منها جرعة ماء ..

الشاب الثالث : ان يمنح دمه ليحيا جلادوه ..

زياد : (بانفعال) هذا حق والله ..

العماد : (في غضب وقد تنبه الى وجود زياد فوق رأسه) اهكذا ادبتك ياغلام .. ؟ .. (زياد يرتبك) .. ابتعد ياغلام.. لاتنحط على رأسي كالكابوس .

(زياد ينسحب في تلكؤ .. ويقترب من اسامة ويتردد في ان يعقد معه حديثا خشية ان يقطع عليه تأملاته .. بينما يدس العماد وجهه ثانية في الكتاب) ..

المجموعة : (مع حركة عيني العماد) لو انا اعتقنا الناس جميعا .. ومنحنا كلا منهم شبرا في الارض ..

الشاب الرابع : وازلنا اسباب الخوف ..

المجموعة : لحجبنا الشمس ، اذا جئنا بجنود يسعون الى الموت .. ليذودوا عن اشياء امتلكوها .. واكتشفوا كل معانيها ..

الشاب الخامس : الحرية ..

الشاب الاول : شبر الارض .. وماء النبع ..

الشاب الثاني : قبر الجد .. وامل الغد ..

الشاب الثالث : وضحكة طفلة تلهو في ظل البيت ..

الفتاتان : (معا) .. وذكرى حب ..

الشاب الرابع : وقبة جامع ادوا يوما فيه صلاة الفجر ..

المجموعة : باوجز كلمة .. عظمة امة ..

(ويتابع العماد تصفح الكتاب في ضيق .. بينما يشيع اسامة ببصره طابور الاسرى الذي يعبر التل) ..

اسامة : (وقد مرت برهة صمت) ما أروع ما أراه هنا .. كتائب البغضاء وقد صارت الى حطام ..

زياد : لو كنت معنا بالامس ، وصباح اليوم ، ما كنت تملك الا ان تصرخ مكبرا لعظم المشهد ..

اسامة : ليت صلاح الدين يستجيب لفكرتي فيتجه بعد القدس .. الى الاندلس ..

زياد : (في دهشة) .. الاندلس .. ؟ ..

اسامة : ما أحوجنا هناك اليه ..

زياد : في الاندلس .. ؟ ..

اسامة : لقد آن للجسد ان تلتئم اعضاؤه كلها .. فيعود جسدا سويا كما كان . انها الفرصة الوحيدة لكي يعيش الجسد والاعضاء جميعا .. العضو المبتور هو عضو ميت بيقين ..

العماد : يالضياع اهل الاندلس .. لقد احدثت جيرتهم للفرنجة فجوة في ايمانهم .. (ويقرأ)

المجموعة : كرسي الحكم ملك الامة .. لا يورث .. اويباع .. ولا يعار ، ولا يوهب ..

العماد : على السلطان أن يقتل ابناءه حتى لايرثوه ..(ويقرأ)..

الشاب الرابع : ليس الحكم بجارية متبذلة ، يتخاطفها الفتيان . يملكها الاسرع سيفا ، والادهى ، والاخبث في تدبير القتل ..

الشاب الاول : من حق الامة ان تختار حاكمها بحرية •

المجموعة : ان تعطي البيعـة للاحكم ، والاعـدل ، والاكثر ايمانا بقضايا الناس •

العماد : (يتخطى سطورا في عصبية ثم يتوقف) ••

الشاب الثاني : الحاكم خادم امته لا مالكها •• (العماد يتخطى سطوراً اخرى) •

الشاب الثالث : الحكم في امتنا شورى •• (العماد يتخطى سـطورا أخرى) •

الشاب الخامس : للامة مجلس حكماء ، يرعى بيت المال ، ويراقب افعال الحاكم ورجاله •• يقوم •• ويهذب •• ويقيم الحد ••

العماد : ان كرسي الحكم ليصبح عارا على الانسان ان يجلس عليه في نظام ابن يعقوب ••

المجموعة : من يبغي ان يحكم امتنا كي يستعبدها •• فليبحث عن كرسي اخر في ارض اخرى ••

(العماد يقلب الصفحات في عصبية) •

زياد : لا يبدو على سيدنا انه سيرفع رأسه عن الكتاب اليوم •• (الى اسامة) لقد قرأت في كتابك شيئا اثارني •• فهل تأذن لي ان اسأل سوءالا ؟

اسامة : (بعد لحظة تأمل) انت تبدو لي فتى ذكيـا يازياد •• حاول ان تخلص نفسك من القوالب التي نشأت لتجدها تحاصرك •• واطلق ذهنك لتفكر معي •• كم جيلا بعدنا سيرث هذا النصر الكبير •• ؟

زياد : (كان السوءال مفاجأة له) هذا النصر •• ؟ الموءكد انه •• في ظني •• انه نصر نهائي وقاطع ••

اسامـة : انت مازلت محاصرا .. انا لست متشائما .. ومع ذلك فانا أقول : انه لو سارت الامور في امتنا في مجراهـا القـديم نفسه .. فربما ينتهى هـذا النصر .. قبل ان تنتهي اعمار من صنعوه .

زيـاد : (مرتاعا) مستحيل .. لقد قضينا على الفرنجة تماما .. ولن تقوم لهم قائمة في ارضنا بعد اليوم .

اسامـة : ولكنهم ما زالوا يملاون الارض الكبيرة .. «او ورفي» كالبعوض . وما زالوا يتكاثرون .. وكانما الجبـال والوديان تشارك في انجابهم . ان الطوفان قادم يازياد.. وقد جئت أحذر منه.. فلقد رأيت طلائعه بعيني من فوق جبال البرتات .

زيـاد : هل تعني غزوات جديدة ؟

اسامـة : لن تتوقف غزواتهم ابدا .. ان موتنا يعني الحياة بالنسبة اليهـم .. هكذا يتصورون .. فلن يكفـوا عنا .. سيتدفقـون على اراضينا في الشـرق وفي الغرب وفي الوسط موجات عارمة .. الموجة تلو المـوجة .. وكل موجة ستأتي معباة بمزيد من البغض .. والاصرار على الفتك .. ولن يرتدوا عن هذه الامة ابدا ..

زيـاد : انني اميل الى تصديقك .. ولكنك تفزعني .. الا سبيل الى النجاة ؟ لا أمل ؟ أهي نهاية امتنا ؟ ..

اسامـة : لقد شاخت امتنا يازياد وترهلت .. وازمنت فيهـا الاورام ..

المجموعـة : وما عادت تجدى فيها سبل العلاج الموقوتة ..

اسامـة : والفرنجة اذكياء .. يدركون هـذا كله .. لذلك فلن يرتدوا عنها .. الا ان يجهزوا عليها .. او ان يحـدث أمر ..

زيـاد : معجزة سماوية ؟

المجموعـة : (ومعها أسامة) معجزة نصنعها بانفسنا ..

زيـاد : بانفسنا ؟

اسامـة : شيء يقلب مصير الامة رأسا على عقب .. شيء لا اعرف بماذا اسميه .. ولكني احسه وكأنما هو بركان يتفجر .. ويفرغ كل ما في جوف الامة من قبح ومرض ..

المجموعـة : شيء قاس كالجحيم ..

اسامـة : قاس كالجحيم ؟

المجموعـة : (ومعها اسامة) يحرق كل شيء لايصلح للبقاء ..

زيـاد : (مذهولا) كل شيء .. ؟

اسامـة : سراديب الدسائس .. والمشانق .. وكل ادوات الرعب والتعذيب . وستر المحظيات .. ودواوين الكذابين من الشعراء .. وكتب العلماء الجهلة .. وسياط جباة المال .. وتجار العبيـد .. والمرتشين .. ولصوص بيت المال ..

المجموعـة : (ومعها اسامة) كل شيء .. غير جدير بأن يعيش ..

زيـاد : يارحمة الله .. كانما هو يوم البعث ..

اسامـة : وعلى انقاض هذا كله .. تنهض امة نظيفة جديدة ..

المجموعـة : (ومعها أسامة) امة شابه .. قادرة على مواجهة الفرنجة ..وغيرهم من امم لم تظهر بعد .. وتبقى امتنا كمـا كانت اعظم الامم . (وتمر لحظة صمت) ..

زيـاد : (مبهورا) اكتبت هذا ايضا في كتابك ؟

اسامـة : انا لم اكتب الا هذا في كتابي ..

زيـاد : (في قلق وشغف شديد الى الكتاب) يبدو أنّ سـيدنا نسى نفسـه (ويتردد قليـلا ثم ينسحب ليصبح خلف العماد .. فيحملق في السطور من فوق رأسه) .

(اسامة يتابع تامله لما حوله .. العماد ماض في تقليب الصفحات بينما يرتفع هياج الجند المنتصرين في الخلفية .. وتسمع صيحات "اقتلوا أرناط وكيّ" اقتـلوهم جميعا" ..) .

الشاب الاول : (وقد ركز العماد عينيه على احد السطور) من يملك ارضا يملكها باسم الامة .. فاذا اهمل او قصر للامـة ان تعفيها منه .. (العماد يحرك عينيه في سرعة وعصبية ثم يستقر بها على احد السطور) ..

الشاب الثاني : لكل فرد في الامة حق معلوم .. في المأكل والملبس .. والمسكن والعلم .

(العماد يقلب الصفحة في سخط)

المجموعـة : من حق القادر ان يعمل .. وحق العاجز ان يأكل .. والايتام .. وكذلك من اقعده السن ..

العمـاد : (يغلق الكتاب في ثـورة ويصيـح) أنت كافـر يابن يعقوب .. (صدم اسامة ولكنه لا يعلق) .

زيـاد : (يبعد برهة) تقول ، كافر ، ياسيدنا ؟ .

العمـاد : اقولها واعيدها .. ، كافر ، .. (ويندفع نحو اسامـة الذي يستقبله بابتسامة هادئة) اسمع يا اندلسي .. ان يكن رأسك قد افلت من جند اشبيلية .. فلن يسلم لو بقيت هنا ساعة اخرى .. خذ كتابك وارحل به مـن هذه الارض .. فلا مكان لك بيننا ..

اسامـة : (يتناول كتابه في هدوء) انت لم تقرأ كتابي ياشيخ .. وانما تصفحته .. ولعلك قرأته ..

العماد : (مقاطعا) لعلى لو قرأته خنقتك بيدي ..

زياد : لتسمع له ياسيدنا .. فقد يفسر لك ما غض من كلمات الكتاب .

العماد : ما من كلمة يستغلق علي فهمها .. فأنا من صناع الكلمات ياغلام (الى اسامة) لقد كان محمد خاتم الانبياء يابن يعقوب .. ولن تقبلك نبيا في ارضنا .

اسامة : (في أسى بعد برهة صمت) فلن تساعدني اذن ..

العماد : (وقد بلغ به الحنق مداه) اساعدك .. ؟

اسامة : كنت اطمع في ان تمهد لي الطريق الى السلطان ..

العماد : لتعلم يافتى اني اسدى لك معروفا اذ اباعد بينك وبين السلطان .. ولو لا ضعف قلبي تجاه أهل الاندلس ، لاسلمتك لمن لا يرحمونك .. يكفى هذا كرما مني .. ولطفا ..

اسامة : (صارخا فجأة) فلتجادلني فيما قرأت ..

العماد : (وقد ارعبته الصرخة) .. لا .. لن أجادلك .. قد اجادل افرنجيا .. ولكني لن اجادل مسلما كفر ..

زياد : (في تردد خشية غضب الشيخ) فلماذا هو كافر ياسيدنا؟

العماد : (الى زياد) ان كل سطر في كتابه هو صيحة كفر وزندقة .. (الى أسامة) فانت تستعلى بارادتك على ارادة الله .. هذه واحدة .

المجموعة : والثانية ..

العماد : تخالف القرآن فيما اوجبه من طاعة لاولى الامر ، فتؤلب العامة على السلطان .

المجموعة : والثالثة :

العماد : تتدخل بين الله وعباده في توزيع الارزاق ..

المجموعـة : والرابعة ..

العمـاد : الله اباح الرق وانت تحرمه ..

المجموعـة : والخامسة ..

العمـاد : جعل الله الناس في درجات .. وانت تعارض حكمته ..

المجموعـة : والسادسة ..

العمـاد : ثم انك تنصب نفسك ناصحا للسلاطين .. وتؤلف كتبا .. في حين انك لا علم لك باصول الكتابة .. تستخدم في كتابك ماينطقه العامة من كلمات .. وليس فيه .. كل .. سجعة واحدة .. (أسامة يضحك) ..

العمـاد : (وقد اربكته ضحكة اسامة) ما اضيع اهل الاندلس..

اسامـة : اني ذاهب الى صلاح الدين بنفسي .. وليكن ما يكون من حراسه معي ..

(يظهر سيف الدين يتقدم عددا من الجند العرب متجهين من اليمين الى اليسار) .

زيـاد : انا لا انصحك بالذهاب يا اخي .. ففي ساعة كهذه .. ربما يختلط الامر على الحراس .. قد يفقدهم حبهم للسلطان حسن التقدير .. فلا يفرقون بين عدو وصديق ..

العمـاد : (وقد اتخذ قرارا) .. انتظر يا بن يعقوب .. (ينادي) .. ياسيف الدين ..

سيف الدين : (يتوقف ومن معه من جند) اتنادي ياعماد الدين ..

العمـاد : نريدك برهة ..

سيف الدين : ما هذا بوقت تبادل الحكايات ورواية الاشعار ياعماد ..

العمـاد : انا لم استوقفك من اجل هذا .. بل لامر عاجل ..

سيف الدين : (متضايقا) ان كل الامور تجري اليوم في عجلة (يتقدم ومن خلفه الجند) .

العماد : (الى اسامة) ذا هو واحد من قادة حراس السلطان ..

سيف الدين : ماذا هناك ..

العماد : هذا اسامة بن يعقوب ..

سيف الدين : (في جهل بالاسم) اسامة بن يعقوب .. وما شأني به ؟

العماد : انه واحد من الاندلس ..

سيف الدين : (في فتور) أهلا وسهلا .. (ويصافحه في تعال) ..

العماد : وهو يبغي ان يستقبله السلطان ..

سيف الدين : الان .. ؟ (يتفحص أسامة) .. هل جاء يحمل رسالة ؟

العماد : بل جاء يحمل كتابا .. وهو يريد ان يقرأه على السلطان ..

سيف الدين : (مشيرا الى الكتاب في دهشه) هذا الكتاب ؟

العماد : نعم .. هذا الكتاب الكبير ..

سيف الدين : (وهو ينقل بصره بين اسامة والعماد والكتاب) .. لا اظن ان السلطان سيقرأ كتبا قبل ان يدخل القدس ..

العماد : ان في هذا الكتاب شريعة للحكم ..

سيف الدين : حكم .. أي حكم .. ؟

اسامة : (الى العماد) لو أذنت لي .. وضحت له المسألة بنفسي.

العماد : اوجزها انا في عبارة ..

سيف الدين : شريعة لاي حكم .. ؟

اسامة : (الى العماد) انت لم تقرأ الكتاب ياعم .. وانما تصفحته .. ولا يكفي هذا لان ..

العماد : (مقاطعا) انه لن يكون بحاجة الى نصف ما قرأته من كتابك حتى يحكم عليه ..

سيف الدين : (في عصبية) اريد ان اعرف اولا .. هو شريعة لاي حكم .. ؟

العماد : (الى سيف الدين) حكم السلطان للرعية بالطبع ..

سيف الدين : (وقد فهم اخيرا) آه .. (ثم يصيح فجأة) .. أي سلطان ؟ سلطاننا ؟ صلاح الدين ؟

العماد : ان هذا الفتى ..

اسامة : (يقاطعه) لتسمح لي ياسيدنا .. ؟

سيف الدين : (مقاطعا في حدة) ان الشيخ يتكلم يافتى .. تفضل ياعماد .

العماد : كنت اقول .. ان هذا الفتى .. اسامة بن يعقوب الاندلسي .. يطالب في كتابه الكبير الذي تراه ـ والذي يأمل ان يجعله السلطان شريعة ـ أن نعتق كل ما لدينا من عبيد وجوار (صدم سيف الدين) وان تتخلى عما خصنا الله به من نعمة الى من حرمهم اياها لحكمة يعلمها الله وحده .. (روع سيف الدين) وان يقيم العامة محاكم او ما شابه ذلك لمحاسبة السلطان ورجاله .. عما يصدر عن أقوال وافعال . (ذهل سيف الدين) والا يرث الحكم ابناء السلطان من بعده .. (لم يعد سيف الدين يحتمل) ..

زياد : (الى اسامة مبهورا) اكتبت هذا حقا .. ؟

العماد : (لا يجد مايضيفه) و .. و .. ولااظنك ياأخي سيف الدين بحاجة الى مزيد .. فلم يبق الا ان يحرمنا اللحم والثريد . (وتمر لحظة صمت) ..

سيف الدين : (في تأمل كئيب) هم .. اكل هذا جاء في الكتاب ؟

العماد : نعم ..

اسامـة : (ولم يعد يؤمل خيرا في الاثنين) ولكنه ليس كل ما جاء في الكتاب •• فهو ليس الا بعضا قليلا منه •• فالشيخ لم يقرأ كتابي •• وانما تصفحه ••

سيف الدين : هم •• وتريد ان تدفعه الى السلطان ليجعله شـريعة للحكـم ••

العمـاد : ويصر على ذلك اصرارا ••

سيف الدين : (الى اسامة) وتتوقع ان يكافئك السلطان •• ويجزل لك العطـاء ••

العمـاد : ولعـله يطمع في ان يصبح فيلسوف القصر •• وكاتبه الاثير ••

سيف الدين : وربما يطمح الى ان يكون وزيرا ••

العمـاد : او حاكما لولاية ••

احد الجنود : او اميراً ••

سيف الدين : او خليفة على المسـلمين ••

العمـاد : ما من شيء يحد طموح الشـباب في هذه الايـام ••

اسامـة : (صارخا) صمتا ياسـادة •• (سـكتة قصـيرة) •• جادلوني فيما كتبت ان شـئتم ••

سيف الدين : انا يافتى لا اجادل •• وانما اقاتل •• (بعد سـكتة قصيرة) إلي بسيفك ••

(اسامة يتأمل الوجوه برهة في هدوء •• وفجأة يرتد خطوة سـريعة الى الخلف ويده على مقبض سيفه •• فيفعل نفس الحركة سيف الدين ومن معه من جند •• ويؤخذ العماد وزياد •• وتمر برهة صمت اخرى) ••

اسامـة : (يسحب سيفه في هدوء) اليك هو •• انا ما أتيت لكي اقاتـل ••

(سيف الدين يتناول السيف وقد تلاعب على شفتيه ابتسامة خبيثة .. ثم يقبض على السيف وكانسا يفكر في ان يقتل اسامة) ..

الفتاة (٢) : (صارخة) لا تجعلوه يقتله ..

الفتاة (١) : ولكنه يفكر في أن يقتله ..

المجموعة : (هامسة تتابع ما يجري برأس سيف الدين ..هل اقتله .. أأقتله وانتهى .. (سيف الدين يقلب السيف في يده بينما يتابع التفكير) ان له افكارا مسمومة .. لو سمع بها العامة فلربما انحازوا له .. وأثاروا صخبا .. فالعامة حمقى .. واغراء الكلمات شديد .. (سكتة)

(سيف الدين يحملق في رفاقه من الجند في شرود)

المجموعة : ربما راقت كلماته للسلطان .. فيجعلها شريعة للحكم .. يحرمني من جاريتي ست الحسن .. ويضيع املي في ضيعة القدس .. هذا الاندلسي المأفون .. أأقتله .. هل أقتله .. ؟ (سكتة قصيرة .. سيف الدين يلهث مع افكاره) ..

المجموعة : لكني قد اغضب السلطان اذا قتلته .. قد يستاء لسفك دم عربي .. في يوم النصر على الفرنج .. قد يغضب مني .. ويضيع املي في ضيعة بالقدس .. (سكتة قصيرة) أأقتله .. هل اقتله ؟ ..

الفتاة (٢) : (صارخة) لن يقتله ..

(صمت)

سيف الدين : (وقد استقر على رأي) هل هذا الفرس فرسك ؟

اسامة : نعم .. فرسي ..

سيف الدين : أهو من الاندلس ايضا .. ؟

اسامة : بل اشتريته من الاسكندرية ..

سيف الدين : وكيف أتيت من الاسكندرية ؟

اسامة : أتيت على ظهر مركب لبعض تجار من عرب صقلية ..

سيف الدين : لتركب فرسك هذا على الفور .. وابحث عن اقرب طريق الى الاندلس فسر فيه .. من هذه الناحية .. اخترق ارض بيزنطة .. او عد اليها سابحا في البحر .. ولكن اياك ان تمر بأرض مصر .. اتسمع .. ؟ .. اياك ان تمر بأرض مصر .. فستلقى فيها حتفك .. (يستدير وهو يضيف ساخرا) .. شريعة للحكم ..

(رفاقه من الجند يضحكون في سخرية ..

وينصرفون خلفه .. تمر لحظة صمت ..

يسمع خلالها ضجيج الجند المنتصرين)

اسامة : يخيل الى اني لم اغادر ارض الاندلس ..

العماد : من رحمة الله .. انه ترك رأسك على كتفيك يابن يعقوب .. (يطلق تنهيدة عميقة) لقد انتهى المشهد العارض ، وآن لي ان اعود الى كتابي .. (ويمضي الى كتابه يراجع ما كتب حتى هذه الساعة) ..

زياد : (الى اسامة بتأثر) انها لكبيرة يا اخي ان اتركك بلا عون .. ولكني لا اعرف كيف اعاونك ..

اسامة : ما اتعس امتنا بالمرتزقة .. وملفقي الكلمات المسجوعة..

العماد : هيا ياغلام .. علينا ان نعوض ما اهدرنا من وقت ..

زياد : (الى اسامة) لو كنت املك سيفا لاعطيتك اياه ..

اسامة : انا لن اكون بحاجة الى السيف يازياد .. فاهدأ بالا ..

زيـاد : (يتردد في ان يتركه) يؤلمني ان اتركك وحيداً .. الى اين تمضـي ؟

اسامـة : لن اذهب بعيدا .. فانا لا اترك نفسي لليأس ابدا ...

سنلتقي كثيرا .. ستراني في كل مكان يحل به صلاح الدين .. سـأطرق باب كل مدينة يدخلها .. سأسلك كل طريق يمشي فيه .. ومهما اقام الزبانية حوله مـن أسوار ..فلسوف اقب لنفسي طاقة انفذ منها اليه .. وسـأبلغه الرسـالة التي جئت بها .. وجاءت بي .. لن يوقفني شـيء الا الموت ..

العمـاد : (صارخا) هيا يازياد ..

زيـاد : (يشد على يد اسـامة في حراسة) لتصحبك السلامة يا أخي ..

اسامـة : ولسوف تتوثق صداقتنا في القدس يازياد ..

زيـاد : نعم .. نعم .. فسنلتقي في القدس بالتأكيد ..

(يرتفع ضجيج الجند المنتصرين)

(زياد يعود الى دفتره وريشته في غير حماس .. وهـو لا يفتأ يلتفت الى أسامة الذي اخذ يتأمل ما حـوله في آسـى .. اسـامة .. يلقي نظرة اخيرة على خيمـة صلاح الدين ثم ينفلت خارجا) ..

العمـاد : وكنت انوي ان اشير اليه في كتابي .. ما أشد سذاجتي .. اين توقفنا ياغلام ..؟

زيـاد : (يقرأ في فتور) فكلما خرجوا .. جرحوا ..

العمـاد : نعم .. (ويملي في عظمة) وبرح بهم حر الحرب .. فما برحـوا ..

(زياد يكتب •• ويسمع صهيل جواد أسامة فيرفـــع زياد عينيه تجاهه في حزن) ••

العمـاد : (مستأنفا الاملاء) وكلما ســاروا وشدوا •• اسروا وشـــدوا •• فما دبت منهم نملة (ينسحب الضوء من المسرح بالتدريج) • وصارت اسودهم •• قنافذ •• وضايقتهم الســهام فوســعت فيهم الخوف النافذ •• (ويعلو ضجيج الجند المنتصرين •• فيغطي على صوت العمـاد) ••

••• ســتار •••

الفصـــل الثـــاني



(يكشف الضوء عن المجموعة المعاصرة .. وقد بدا على افرادها الاستغراق في التفكير) ..

(وتسـر لحظـة صـمت)

الشاب الرابع : اتعرفون فيم أفكر الان .. ؟

(تتحول الوجوه اليه في تساؤل)

افكر في عباس بن فرناس ..

المجموعـة : (في دهشة) عباس بن فرناس ..

الشاب الرابع : نعم ذلك الاندلسي المهووس .. علمونا ، بزهو شديد ، انه كان اول انسان فكر في الطيران .. كسى جسـده بريش الطير .. وقذف بنفسه من فـوق سـطح عالٍ ليطير .. فسـقط وتكسر ..

(المجموعة تضحك ضحكة خفيفة)

كنت أعقد مقارنة صغيرة بينه وبين طائرة الفانتوم التي نعـرفها اليوم ..

الفتاة (١) : لكـل علـم ضحاياه ..

الشاب الرابع : هـذا صحيح .. ولكن ، ونحن في مجال المواجهـة الصريحـة ، يجب ان نفرق بين العلم والعبط ..

الفتاة (٢) : ان سقطات كهذه ينبغي الا تفقدنا احترامنا لانفسنا ..

المجموعـة : ان غاية طموحنا أن نحترم انفسنا .. دون ان نخدعها .

الشاب الاول : (هاتفا فجأة) اني أقترح .. (ثم في هدوء) ان نضيف الى « باب الفتوح » فقرة تؤكد ان من يملك ناصـية العلـم .. سيمتلك مقادير العالم .. وتحـذر من ان يحرز الفرنج قصب السبق في هذا الميدان ..

الشاب الرابع : لاشك ان أسامة كان يدرك هذا •• ولاشك ايضا ، انه أورد في كتابه فقرة صريحة ، ترفض اشباه عباس بن فرناس من حقل العلم ••

الشاب الثاني : وترفض كذلك ، ايمان المسلمين بقدرة الموتى على صنع الخوارق •

المجموعة : ومخربي روح الامة ، بالحكم المبتذلة ، والامثال الخرقاء ، ليحكموا القيد حول الرقبة ••

الشاب الثاني : بات مغلوب ولا تبات غالب ••

الشاب الاول : خير الامور الوسط ••

الشاب الثالث : العين ماتعلاش على الحاجب ••

الشاب الرابع : اللي يبص لفوق يتعب ••

الشاب الخامس : ان كان لك حاجة عند الكلب قل له ياسيدي ••

الفتاة (١) : من خاف سلم ••

المجموعة : من رضى بقليله عاش ••

الفتاة (٢) : ان لي عمة •• تحفظ عشرات من هذه الامثال ••

الفتاة (١) : فلنضع عمتها في قائمة المرفوضين ••

الشاب الثالث : اليكم فكرتي ــ التي هي فكرة اسامة في نفس الوقت ــ ان الجائع وان اقبل على الجهاد مرة ، فلن يفعل مرة أخرى •• اذا ظل على جوعه •• فما من شيء يهزم المثل العليا مثل الجوع ••

الشاب الخامس : المعدة لاتهضم المثل العليا •• هذا مفهوم ••

الفتاة (٢) : الجوع •• كافر •

(المجموعة تصفق للفتاة (٢) استحسانا وتشجيعا)

الشاب الخامس : علينا الان ان نسترد اسامة من صحراء فلسطين •• ونستأنف لعبتنا •• فقد خرج اسامة من طبرية ، ولم يعد بعد •• كان ثمة امل قد بزغ في الشرق ، كما نعلم ، بالنصر في حطين •• ولكن البؤس كان مايزال ضاربا أطنابه في البلاد •• فكأنما النصر شمس اشرقت على مستنقع موبوء •

الشاب الرابع : في تقديري ، ان اسامة اخطأ منذ البداية •• اذ حاول ان يقنع السادة بفكره •• فالثائر لا يقنع اعداءه — وانما يفرض عليهم مايريد •• او يسحقهم عند الضرورة ••

الشاب الاول : لقد خلقناه على شاكلتنا ميالا للمهادنة •• وهذا عيب فينا ، كان يتحتم علينا ان نتلافاه في أسامة ••

الفتاة (١) : يجب الا ننسى ان اسامة كان ثائرا •• لا مغامرا •• وقد كان وحيدا وغريبا في ارض لم تعد بكرا بعد •• فكان من الطبيعي ان يلجأ اولا الى الاقناع ••

الشاب الثاني : ثم ماذا يمكنه ان يفعل وحده ، وقد جرد من سيفه ، في ارض تكاد تنكره ؟

الشاب الخامس : كان مايزال يملك جواده وكتابه ، وحفنة دنانير ، وايمانه بعدالة مسماه ••

الشاب الرابع : وكانت هناك الجماهير الفقيرة ، التي يحبها ، ويتكلم بأسمها ••

الفتاة (٢) : ولكن الامل كان لايزال معقودا على صلاح الدين •• فلنمض في رحلتنا معه ••

المجموعة : لنمض في رحلتنا معه ••

الشاب الخامس : (يقرأ في كتاب فتح القدس) فاحاطت بحطين بوارق البوار •• ورشقتهم الظبا •• وفرشتهم على الربا ••

ورشفتهم الحنايا .. وقشرتهم الثنايا .. وقرشتهم البلايا ..

الشاب الثاني : (مقاطعا) الفاظ .. لا تقدم ولا تؤخر ..

الشاب الرابع : من المؤكد انها تؤخر ..

الشاب الخامس : (يقرأ)فمن عاين القتلى في ذلك اليوم .. قال ما هناك أسير .. ومن عاين الاسرى .. قال ماهناك قتيل ..

الشاب الثالث : وبسقوط طبرية .. وقلعتها ، سقطت في يد صلاح الدين كل مافي نطاقها من بلاد ..

المجموعـة : بلاد الصلت .. والبلقاء .. وجبل عوف .. والسواد .. والجولان .. حتى حوران ..

الفتاة (١) : والنسر العبقري يجهز خطته .. ليسدد الى الاعداء .. ضرباته الاخيرة ..

المجموعـة : تطبق قبضتنا على الساحل كله .. فتمتلك البحر .. ونحكم الخناق عليهم في البر .. ولنبدأ بعكا .. معقل الفرنج ، وحصنهم الحصين .. فتسـقط بعدها قلاع الساحل كلها .. دون ان تطلق سهما عليها ..

(يكشف الضوء عن أحد ابواب عكا على يمين المستوى الاعلى ، وقد احتشد امامه جمهـور كبير من الاهالي العرب يريدون الدخول ... محدثين جلبة ... وقد اطلت وجوه ساخطة لبعض الجند العرب من طاقة كبيرة في اعلى البوابة .. وما زال ضجيج النصر يسمع من خلف الاسـوار .. والنيران مازالت مشتعلة) ..

اصوات : من الاهالي : دعونا ندخل .. نحن عرب الافرنجة ..

نحن اصحاب المدينة ..

جندي : لن تدخلوها اليوم ..

الاهالي : نحن اصحاب عكـا ..

جندي : عودوا الى حيث كنتم •• حتى ندعوكم ••

الاهالي : لن نترك هذا الباب •••

(ويغطي ضجيج النصر على لغط الاهالي) •

(وكان اسامة قد ظهر على المستوى الادنى •• من اليمين وقد تأبط كتابه •• القى نظرة طويلة على البوابة •• ثم تابع طريقه في خطوات هادئة •• فخرج من اليسار •• وظهر العماد ومن خلفه زياد حاملا دفتره وأدوات الكتابة من اليسار على المستوى الاعلى متجهين الى البوابة) ••

العماد : ما هذه الجمهرة •• اهي دعوة لوليمة •• (مازحا) •• ارجو ألا نكون قد جئنا متأخرين ••

الاهالي : دعونا ندخل •• نحن اصحاب المدينة ••

زياد : انهم جماعة من اهل عكا العائدين ••

العماد : ما اسرع ماتنتشر انباء الفتح•• ولماذا يكروا بالعودة ••؟؟ ان ثمة امورا لابد وان تسوى قبل ان تفتح لهم الابواب •• (يشق لنفسه طريقا في الزحام ومن ورائه زياد) •• وسع يارجل افسحي الطريق ياأمرأة (مازحا) دعونا نمر •• فنحن اقارب العروس ••

رجل من الاهالي : كلم السلطان عنا ياشيخ ••

امرأة عجوز : قل له يطل علينا ••

(فتح باب صغير في أسفل البوابة تلقف العماد وزياد واغلق)

الاهالي : نحن اصحاب المدينة ••• دعونا نقابل السلطان ••

(ظهر اسامة من الخلفية بجانب جماعة الاهالي •• فوقف يتابع ما يجري في صمت •)

رجل من الاهالي : (وقد وقع بصره على اسامة) يخيل الى ان هذا الفتى .. واحـد من الامـراء ...

(عبارة الرجل شدت الانظار الى اسامة)

الرجل : (الى اسـامة) مرهم بان يدخلونا ياسيدي .. فنحن اصـحاب المدينة ، وقد طرد الفرنج اباءنا من قديم ، فعشنا ننتظر العودة .. وقد جاء يوم العودة ..

اسامـة : (بعد برهة تأمل) انتم ياحراس البوابة ..

(صيحة اسامة جذبت اهتمام الناس .. وجعلتهم يلزمون الصـمت) ..

جنـدي : ماذا تريد .. ؟

اسامـة : افتحـوا البوابة للناس ..

جنـدي : ومن تكون لتأمرنا .. ؟

اسامـة : انا أحد الناس ..

الاهالي : (وقد خاب املهم) احد النـاس ..

جنـدي : نحن لا تتلقى الاوامر من آحاد الناس .. فاذهب لشأنك (لغط بين الاهالي) .

اسامـة : (صارخا) هل انت اله .. ؟ (صدم الجندي) ..

اصوات الاهالي : أستغفر الله العظيم ..

اسامـة : هل انت الخليفة ؟

الجنـدي : لا .. لست الخليفة ..

اسامـة : ولا السـلطان ..

الجنـدي : (الى زميل له) ماذا يعني بهذا ؟

اسامـة : ما انت الا واحد من الناس .. فلتحادثني كما يتحادث الناس ..

الجنـدي : افصح عما تريد •• وانا بكلام افهمه ••

اسامـة : ان هؤلاء القوم •• هم اصحاب عكـا ••

الاهالي : هـذا حق ••

اسامـة : اولادهم واخوتهم جاهدوا معكم ••

الاهالي : هـذا حق ••

اسامـة : وقد جاهدوا •• لكي يستردوا المدينة من اجلهم ••

الاهالي : نعـم •• من اجلنا ••

اسامـة : كان لابائهم حياة كاملة بها اغتصبت •• وما من واحد منهم الا وله في ترابها اثر قديم من دمه ••• فبينهـم وبين المدينة قرابة بالدم ••

اصوات : ـ ان لنا بالمدينة ابارا من الدم •

ـ ترابها من جثث الشهداء من اجدادنا •

ـ ان من اسلافي خمسين استشهدوا فيها •

ـ افتحوا ابواب مدينتنا ••

اسامـة : دعوهم يدخلوها •• قبل ان يهبط عليها السادة من كل البلاد ••• فيتقاسموها مع القادة •• ولا يبقوا لهم سقيفة تمنع عنهم لهب الشمس ••

(يشتد هياج الاهالي ويشددون الضغط على الباب)

جنـدي : انتظروا •• لاتلجئونا الى القسوة ••

جنـدي اخر : هاهو ذا احد القادة •• اتى ليحدثكم •• فاصمتوا •••

(يظهر سيف‌الدين في طاقة البوابة •• فيزداد هياج الاهالي ويندس اسامة بينهم خشية ان يراه سيف‌الدين)

سيف الدين : انصتوا الى •• صمتا ايها الناس •• (الهياج مستمر)••

ان لم تستمعوا إليّ فسأضربكم بنيران المجانيق ..
(الاهالي يصمتون) ..

سيف الدين : حمدا لله .. لقد سكتوا .. هذا حسن .. اني لديّ ما أريد أن اقوله لكم (ولكنه لا يجد ما يقوله) انني اجيد القتال .. ولا اجيد الكلام .. هذا الشيخ يكلمكم .. (ملتفتا خلفه) تعال ياعماد الدين ..

(يظهر عمادالدين بجانب سيف الدين)

رجل من الاهالي : كلم السلطان عنا يا شيخ ..

امراة : قل له يطل علينا ..

العماد : (وقد اتخذ هيئة ورعة ، يتنحنح ، ويستعد لخطبة طويلة) الحمد لله .. الذي اجزل لعباده الصالحين وعد الاستخلاف .. وقهر باهل التوحيد اهل الشرك والخلاف .. وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة .. وبدل من الامن المخافة (سيفالدين ينحني اليه فيهمس بكلمات يستعجله بها) طيب .. حاضر .. (يتنحنح ثانية) ياقوم .. هل بينكم كبير يتحدث عنكم . ؟

اصوات عديدة : أنا ..

العماد : ليس بينهم صغير ..

سيف الدين : (يهمس الى العماد بكلمات اخرى) ..

العماد : ياقوم .. اختاروا واحدا من بينكم يتحدث عنكم .. (لغط خفيف بين الاهالي ، يجيلون اعينهم فيما بينهم .. ثم تستقر ابصارهم على اسامة .. فيرين عليهم الصمت.. وما تلبث كتلتهم ان تنشق جناحين يتباعدان ليتركا أسامة في الوسط) .

(اضطرب اسامة لوهلة ، ثم استرد رباطة جأشه)

العماد وسيف الدين : (صارخين معا) أنت .. ؟

الاهالي : هـذا الفتى يتحدث عنـا ..

العماد وسيف الدين : (كل الى الاخر) لقد لعب بعقول العامة .. هذا ماكنا نخشـاه ..

العمـاد : ومعـه كتابه الملعون .. (انظار الاهالي تتجـه الى الكتـاب) .

زيـاد : (وقد برز برأسه فجأة بين العماد وسيف الدين) أهـو أسـامة ياسيدنا .؟

العماد : (يدفع زياد في حده) ابتعد ياغلام .. اهكذا ادبتك ؟

سيف الدين : (الى اسامة) اما زلت هنا يا أندلسي .. ؟

الاهالي : (في دهشـة) اندلسي ؟

سيف الدين : ألم آمرك بان تغادر هذه البلاد ؟

العمـاد : تكلم يابن يعقوب .. اجب عن السؤال ..؟ .. الـم يأمرك بأن تغادر هذه البلاد ؟

اسامـة : ان هؤلاء الفقراء الطيبين.. اختاروني لاتحدث بأسمهم. وانا لا اتخلى عن الناس ..

سيف الدين : لقد ارتكبت خطأ كبيرا اذ لم اقتل هذا الاندلسي ..

الاهالي : (الى اسـامة) تكلم .. تكلم ..

اسامـة : (الى سيف الدين والعماد) ما الذي يجعلكم تغلقون الابواب في وجوه اصحاب المدينة ؟ (سكتة قصيرة).. انتم لا تجيبون .. ولكني اعرف اجابتكم .. ولا اشك في ان هؤلاء النـاس يعرفونها . فأنتم تريدون مهلة ، لتفرضوا النظام في المدينة ، قبل ان يدخلها العامـة ،

فيفسدوه عليكم . والنظام هو القوائم . القوائم القديمة نفسها تبعث . قد يسوت الناس .. وتتغير الوجوه .. ولكن القوائم تبقى . لكل انسان فيها خانة لا يتجاوزها . وهؤلاء الناس جميعا فقراء كل عصر ، تجمعهم خانة واحدة .. تأتي في الذيل . فعليهم ـ ان عادوا ـ ان يصلوا في الوقت الذي يتناسب مع خانتهم. عليهم ان يصلوا في الذيل فتتلقاهم خانتهم .. خرائب المدينة ، وحظائرها ، وعراء مزارعكم ومراعيكم .. ومواقف طلاب الصدقة على ابواب بيوتكم .. وامام المساجد .. وعليهم بعد ذلك ان يسلموا بأن الله هو صانع الخانات .. وان يشكروه على ما اتاهم ..

العماد : لقد بدا يجهر بكفره .. اما من سبيل الى اسكاته .

الاهالي : انه يتكلم باسمنا .. دعوه يتكلم ..

سيف الدين : ستكون اخر كلمات يحرك بها لسانه .. فاتركه يتكلم..

اسامة : تلك كانت اجابتكم .. واليكم كلمة الناس .. نحن لا نطمع في غنائمكم .. فلتتقاسموها ..

العماد : انه يتكلم عن الغنائم ..

الاهالي : نحن لانريد الغنائم ..

اسامة : نحن نريد حقنا في حياة مدينتنا ..

الاهالي : هذا حق ..

اسامة : لقد عادت اليوم عكا بلدا بكرا ، لتبدأ خلق حياتها من جديد .. فلتصغ حياتها الجديدة بحكمة .. وحب .. لتكون حياة للجميع .. الناس فيها سواسية . لا عبد بينهم ولا سيد . شركاء في الحرب .. وفي السلم .. وحصاد الارض للجميع .

المجموعة المعاصرة : لكل فــرد فيها حــق معلوم •• في المــاكل والملبس والمسكن •• والعلم ••

الاهالي : (وقد التهبت ثورتهم) •

— : افتحوا ابواب مدينتنا •

— : لن نحرمكم من الغنائم •

— : نريد حيــاة للجميــع •

سيف الدين : (صارخا) ياالندلسي •• الديك ما تبغي ان تضيفه ••

اسامــة : لقــد انتهت كلستي ••

سيف الدين : وانتهت حياتك ايضا •• (ويختفي سيفالدين ومن بعده العساد •• ويشتد صخب الاهالي) ••

زيــاد : (مناديا •• وقد اطل وجهه من الطاقة) يا اسامة ؟

اسامــة : (متهللا) اهلا زياد •• ها نحن قد التقينا كما تواعدنا •

زيــاد : اركب فرسك وانطلق على الفور •• فأن سرية من الجند في طريقها اليك ••

(ويختفي وجــه زياد)

اصوات بين الاهالي : جند لماذا •• ؟

— : لقد تكلم بآســمنا ••

— : لم يقل غير الحق ••

— : حق معلوم في المأكل والمسكن •• وماذا •• ؟

— : لن نتركه للجنــد •• لن نتركه للجند ••

— : ارحل يافتى •• ارحل في التــو ••

اسامــة : من الجبن ان ارحل ••

الاهالي : ليس من العقل ان تبقى ••

— : من الخير ان تعيش ••

— : اذهب •• اذهب ••

(يدفعون به بعيدا ، الى الخلفية ، فيختفى قبل ان يفتح الباب ويخرج منه عدد من الجند ، بينما ظهر اربعة من جند اشبيلية على المستوى الاعلى من اليسار)

جندي (١) : اين هـــو ؟

جندي (٢) : كان هنـا ..

جندي (١) : انني اعرف وجهه .. (يفتشون عنه بين الاهالي) ..

جندي (٢) : (الى الاهالي) تكلموا .. اين هـو . .؟

(الاهالي صامتون)

جندي (٣) : من الخير لكم ان تتكلمـوا ..

جندي (١) : لن يفلت منا ولو ذهب الى اقصى الارض ..

جندي اشبيلي : (الى الجنود الشرقيين) يأخوة .. الم تسمعوا عن شـاب اندلسي جاء ليلتقي بالسلطان صلاح الدين ..؟

جندي (١) : أهـو اسـامة بن يعقوب ..

الاشبيليون الاربعة : نعم .. هـــو ...

جندي (٢) : نحن نبحث عنـه ..

الاشبيليون : انتم ايضا ؟ (ثم الى بعضهم البعض) هم ايضا .... يبحثـون عنـه ..

جندي اشبيلي : المجرم في المغرب مجرم في الشرق .

الاشبيليون : (الى الجنود الشرقيين) نحن من اشبيلية .. جئنا نبحث عنه .. فلنوحد خطتنا ..

الجندي (١) : هيا نسـد عليه الطريق جميعا ، قبل ان يفر ..

جندي اشبيلي : نريده حيـا او ميتـا ..

اشبيلي اخر : ومن الافضل ان يكون ميتا .. حتى لايضايقنا في الطريق
(ومع حركة الجند تنسحب الاضاءة من خشبة المسرح) ..

* * * *

(وتسقط اضاءة خفيفة على تل رملي في الخلفية .. وثمة طريق يمر اسفل التل .. ظلمة زرقاء تغشى المكان .. انها ساعة الفجر .. وأسامة يجلس القرفصاء وقد اراح رأسه على ركبته .. وهو يبدو كالمريض) ..

المجموعة : (هامسة) ما اثقل الوحدة على انسان يحب الناس .. (أسامة يتنهد ويغير وضع رأسه على ركبته) .. وما أقسى أن يكون مطاردا .. في الشرق .. والغرب .. وفي كل مكان ..

اسامة : عندئذ يصبح العالم كثقب ابرة .. وتبدو السماء اكثر رحابة . (يجيل عينيه حوله في يأس) ..

المجموعة : كلاب الصيد متربصة على كل طريق ..

اسامة : كلاب أحسن تدريبها لتنقض على الفريسة .. دون ان تسأل .. لماذا ؟

(تسمع همهمة مجموعة من الاهالي العائدين .. بعيدة اول الامر .. ثم تقترب رويدا رويدا .. وتمر لحظة صمت على المسرح) ..

اسامة : (يتطلع الى السماء) عندما تزفر سماء اشبيلية هذا الضوء .. يؤذن للفجر ..

المجموعة : وما أبعد اشبيلية ..

اسامة : ما ابعد اشبيلية .. (سكتة قصيرة) .

الفتاة (٢) : عينت لي بثينة نجمـا في السماء •• وقالت •• كلمـا نظرت اليه ستذكرني ••

اسامـة : (باحثا عن النجم في السماء) ترى اي نجم عينته بثينة لي ؟ ما كان لها ان تختار نجما •• فكل النجوم تذكرني بها •• (يبتسم في اسى •• ويعيد رأسه الى ركبتيه) ••

المجموعـة : سرعان ما يشرق الصـباح •• وتتضح الاشـياء •• فاكتشف هذا المكان الذي قادني الظلام اليه •

(اقتربت همهمة المجموعـة العائدة على يسـار المسرح •• وان تكن ما تزال بعيدة •• وهي همهمـة سـعيدة تتصاعد خلالها الضحكات) •

اسامـة : (ينهض واقفا فجأة فينادي بأعلى صوته) ياقوم •• الى اين تتجهون •• ؟

اصوات بعيدة : الى يافا •• وانت ••

(اسامة يطرق في كآبة) •

المجموعـة : أنا •• ؟ لا ادري ••

الاصوات : هل تأتي معنـا ؟

اسامـة : شـكرا لكم •• فانا باق هنا حتى الصباح ••

المجموعـة : فلعلي اعرف في النور •• أي طريق اختار ••

(يسمع صهيل فرس في الخلفية •)

اسامـة : (يلقى نظرة علىفرسه فيما وراء التل) فرسي يستعجلني •• لا يدري ماحل بي •• (ويعود الى جلسته الاولى) •• وربمـا كان يعرف اكثر مما اعرف •• من يعلم •• (تتباعد همهمة الجماعة المسافرة •• ويلقى اسامة نظره في اثرهم) •• منذ هبط الليل اخاطب كتلا من الاشباح العابرة •• ما اعجب هذا المكان •• تلتقى فيه الطرق

جميعا •• ولا ينتهي عنده طريق واحد •• كل مسافر يمر به •• ولا احد يتوقف عنده ••

المجموعـــة : الا انـــا ••

اسامـــة : الا انا •• فانا لا اعرف •• الى اين اتجه ••

المجموعـــة : كان كل شيء واضحا امامي •• وضوح كفي في ضوء الشمس •• مسألة حسابية بسيطة •• واحد زائد واحد يساوي اثنين •

اسامـــة : (في مرارة) لم اكن اعلم اني اخطىء في الحساب ••

المجموعـــة : حرب أو استســـلام ••

ثورة او خنـــوع ••

حياة او مـــوت ••

أمور لا تقبل الحل الوســـط •• وعلينا نحن المغرمين بالحل الوسط ان نختار احد الحدين ••

اسامـــة : (صارخا) هل يمكن ان اكون العاقل الوحيد في الارض •• (برهة صمت) ••

(تسمع همهمة مجموعة مسافرة جديدة على يمين المسرح تقترب اكثر فاكثر •) •

اسامـــة : حين خيرني الامير ••

المجموعـــة : امير اشبيلية

اسامـــة : بين ان اكف عن افكاري التي اسماها جنونا ••• واقبل منصبا في الديوان •• او ان اسجن •• كانت الامور واضحة امامي وضوح كفي في ضوء الشمس•• نصحتني أمي بأن اقبل المنصب •• وتوقعت منه الخير الوفير • يالطيبة قلب الام ، هي لا تطيق من الحياة الحدين •• الساخن والبارد •• ولا ترضى الا بالوسط الفاتر ••

المجموعـة	: طيبة أمي •• كانت تدفعني للغثيان ••
اسامـة	: قلت اسجن يا امير •• فسجنت •• ونجوت من طيبـة امي •• (صمت اقتربت همهمة الجماعة المسافرة ورنت خلالها الضحكات) ••
اسامـة	: (هاتفا) ياقوم •• الى اين تتجهون ••
اصوات	: الى عكا ••

(لحظـة صمت)

المجموعة المعاصرة	: وفي عكا مراكب تبحر الى شواطيء الاندلس ••
الاصوات	: هل تصحبنا •• ؟
اسامـة	: صحبتكم السلامة •• فانا انتظر الصباح ••

(صمت •• اسامة هبط التل الى مقدمة المســرح •• وراح يتابـع تأملاته على مقربة مـن المجموعـة •• وبينها) ••

اسامـة	: هل اسلم نفسي لجنود اشبيلية •• وانتهى • اعود الى اشبيلية لارتمي على صدر امي •• حيث لا سخونة ولا برودة •• وانما دفء فحسب •• اتجرع القيء في منصب بالديوان •• وانجب اولادا للموت •• واتجاهل النهاية التي اعرفها •• والتي توشك ان تنقضي •• أنسـاها •• حتى تحتويني لحظتها فامضى مع الماضين ، وانتهى ••
المجموعـة	: وتنتهى الانشودة العربية الساحرة •• الاندلس ••
اسامـة	: (صارخا) وهل انا المخلص الوحيد •• أأنا المهـدي المنتظر •• ؟

(صمت •• تظهر مجموعة صغيرة مسافرة مـن يسار المستوى الادنى •• وقد ارهقها طول السهر) ••

المجموعة المعاصرة	: ياقوم •• الى اين تتجهون •• ؟

المجموعة المسافرة : الى الناصرة .. هل تأتون معنا .. ؟

المجموعة المعاصرة : شكرا .. نحن باقون .. فنحن لم ننتصر بعد .. المجموعة المسافرة تتابع طريقها) وما زلنا نبحث عن قرار .

اسامة : هل اسلم نفسي لجند سيف الدين .. فاصلب على تل من قمامة الفرنج في القدس .

(صمت .. اصطبغ الافق وراء التل بحمرة الشفق)

اسامة : (وهو يخطو ليخرج من يمين المسرح) .. ربما لاتجد فكرتي من يحملها بعدي .. ربما يدفن كتابي معي .. ربما نحرق سويا في حفرة بارض مجهولة (ويختفى) ..

(ظهرت من يمين المسرح اعلى التل .. جماعة مسافرة جديدة .. محدثة جلبة مرحة .. وتتقدمها امراة عجوز ظاهرة النشاط) ..

— : ستسبقنا العجوز .. (ضحكات) .

— : تريد أن تسبقنا لتختار افضل قصور المدينة ..

— : من حقها ان تختار .

— : لم تعد حياة الخيام تليق بها ..

— : تكفيها حفرة صغيرة في الرمال (ضحكات) ..

— : تأملوا كيف تطير كجنية .. (ضحكات) ..

(وتدخل من يسار المسرح اسفل التل .. جماعة مسافرة جديدة .. يتقدمها العجوزان عمر وحسان يحملان فيما بينهما اباهما « ابو الفضل » على محفة خشبية .. وعبدالرحمن « ذو الذراع الواحدة » وعائشة .. اما بقية الجماعة فعدد من النسوة متفاوتات الاعمار وصبية).

عمر : (وقد تنبه الى الجماعة المسافرة الاولى قبل ان تختفي) .. وتلك جماعة عائدة اخرى ..

حسان : (مناديا) ياقوم •• (الجماعة الاولى تتوقف) عمـــوا صباحا ••

الجماعة الاولي : اصبحتم بخير ••

حسان : الى اين وجهتكم ••

الجماعة : وجهتنا حيفا •• وانتم •• ؟

الجماعة الثانية : وجهتنا القدس ••

عمـر : نحن من القدس •• الديكم أنباء عنها ؟

رجل من الجماعة الاولي : بلغنا ان السلطان الناصر ما زال يضرب اسوارها •

حسان : لو شاء هدمهـا في ليلة •• ولكنـه يخشى ان يصيب المسجد الاقصى بضرر •

رجل من الاجماعة الاولي : الحرب حكمة ••

عمـر : هل معكم رجل عاش ايام غزو الفرنج لحيفا ••

الرجل : لا •• الا ان تكون هذه العجوز تخفي حقيقة عمرها ••

(ضحكات من الجانبين)

حسان : اما نحن فمعنا رجل شهد غزوة الفرنج للقدس ••

عمـر : منذ مائة سنة ••

ابو الفضل : (يلوح بعصاه مهللا ليعلن عن وجوده) ••

حسان وعمر : (معا) هذا هو •• انه ابي •• (ويضعان حملهما على الارض) •• واسمه ابو الفضل ••

المرأة العجوز : (من الجماعة الاولى) •• (تقترب من حافة التل لتدقق النظر في ابي الفضل) انا اصدقكم •• فلا شك انه عاش ايام الرسول •• (ضحكات من الجانبين) ••

ابو الفضل : (مغتاظا الى ولديه) قولا لهذه الضفدعة .. انها كانت مرضعتي ..

(ضحكات من الجانبين ثم يضحك ابو الفضل .. ويخطو متعثرا .. ليطمئن على افراد جماعته) .

رجل من الجماعة الاولى : انه معكم خير وبركة ..

ابو الفضل : قولوا لهم .. ان من اولادي .. وأحفادي ثلاثين استشهدوا في الجهاد .. مع زنكي ونور الدين ..

حسان : هم تسعة وعشرون يا ابي ..

ابو الفضل : (مشيرا الى عبدالرحمن) وذراع هذا الرجل ..

المراة العجوز : (من الجماعة الاولى) .. فلنتابع سيرنا ..

رجل من الجماعة الاولى : ندعو الله أن يهيء لكم صلاة الجمعة اليوم في المسجد الاقصى .

الجماعة الثانية : الله كريم ..

الجماعة الاولى : نستودعكم الله ..

الجماعة الثانية : الله معكم ..

(وتخرج الجماعة الاولى .. فيسرع ابو الفضل فيتخذ مكانه على المحفة استعدادا للمضي في الطريق) .

حسان وعمر : (معا) يا ابانا .. لقد تعبنا ..

حسان : وآن لنا ان نستريح بعض الوقت ..

ابو الفضل : لا وقت للراحة .. سنستأنف السير ولن نتوقف .. (مشيرا بعصاه) هيا ..

حسان : الم تسمع ما قيل .. ما زال الرجال يحاربون ... ولم تسقط القدس بعد ..

ابو الفضل : اعلم انها لم تسقط بعد .. ولهذا فانا مستعجل .. فلابد وان ارى بعيني هزيمة الفرنج فيها .. كما رأيت هزيمتنا . ماعشت حتى اليوم الا لاعاين هذا المشهد ..

حسان : كانما يقدر عمره بنفسه ..

ابو الفضل : ستحملوني فنمضي ..

حسان : ماعدت بقادر على المضى .. الا ان نرتاح قليلا ..

ابو الفضل : انت ولد عاق ..

حسان : ما انا الا ولد عجوز .. أضنته الرحلة ..

ابو الفضل : لتحملني انت ياعمر ..

عمر : وحدي يا ابي .. ؟ ماعادت ساقاي بقادرتين على حملي ..

ابو الفضل : (ضارخا) انتم جميعا اولاد عاقون .. ساترككم واذهب وحدي .. (ولكنه لا يتحرك من مكانه) .

عبدالرحمن : ان ذراعي الواحدة ياعمي .. لاتتيح لي ان ..

ابو الفضل : (مقاطعاً في حدة) أعرف هذا .. فأنت لا تدعنا ننساها ابدا .. منذ قطعت ذراعك وانت لاتصنع شيئا الا ان تذكرنا بأن لك ذراعا مقطوعة .. (حسان يومىء الى عائشة بأن تتدخل) ..

عائشة : (تنحني على أبي الفضل ملاطفة) لماذا أنت غاضب ياجدي الحبيب .. أولى بك أن تكون أكثرنا مرحا .. وأن تعلو ضحكتك على ضحكاتنا جميعا .. ألم يستجب الله لدعواتك ، فيكتب لك أن تعيش يوم العودة ..

ابو الفضل : انا رجل صالح .. بيني وبين الله مودة ..

عائشة : من حقنا عليك اذن ان تغني .. لا أن تصرخ .

ابو الفضل : (وقد جنح الى الهدوء) أغنيُّ ياعائشة ؟

عائشة : أنت نذرت هذا •• نذرت أن تغنيُّ اذا قدر لنا أن نعود •• أنسيت •• نحن عائدون الى القدس ياجدي •• نحن في طريقنا الان الى القدس •• وليس هذا حلما •• بل حقيقة •• فلتوف بنذرك ••

ابو الفضل : هذا جنون •• كنت يائسا من العودة حين نذرت ذلك النذر السخيف • أغنى •• (يضحك) ••

حسان : (وقد ارتاح لهذه النتيجة) هيا •• لنبحث لنا عن مكان يصلح لان نغفو فيه ساعة ••

(الجماعة تتلفت حولها باحثة عن مكان)•

عبدالرحمن : (مشيرا الى مكان قريب خارج المسرح)

هناك في حضن التل •• حتى لاتدهسنا الجمال المارة •

(الجماعة تخرج الى حيث اشار) •

حسان : لنحمل ابانا ياعمر •• فنهيء له غفوة طيبة ••

ابو الفضل : (صارخا) لن انام •• لن يرغمني احد على النوم ••

عائشة : ولم لا ياجدي •• انت بحاجة الى النوم ايضا •• ولعلك اكثرنا حاجة اليه ••

ابو الفضل : (في ضعف) اخشى ان أغمض عيني •• فلا افتحهما ثانية يا عائشة ••

حسان : (وهو ينحني ليرفع المحفة من ناحية) انت مولع بالكلمات المثيرة للحزن يا ابي •• ارفع ياعمر ••

عمر : تماسك يا ابي •• فسنرفعك •• (ويرفعه الاثنان) •

ابو الفضل : انزلوني •• لا اريد ان انام •• لن انام •• لاتتركيني لهما يا عائشة ••

(حسان وعمر يتوقفان في ضيق) ..

عائشة : .. لن اتركك ياجدي .. سابقى بجانبك تتحادث حتى تشرف الشمس على الشروق .. ولسوف تعيد عليّ بعضا من ذكرياتك في القدس .. الا ذكرى المذبحة .. فقد اتفقنا على ان ننساها . وان شئت ان تغفو قليلا .. غنيت لك حتى تغمض عينيك ..

(ظهر اسامة فوق التل .. قادما من الخلفية .. فوقف يتأمل الجماعة وقع بصر حسان على أسامة فتوقف) ..

حسان : (منزعجا) من هذا ؟

(يتلفت الجميع الى اسامة ويتجمد الموقف) .

* * * *

المجموعة المعاصرة : اسامة .. هل اتخذت قرارا ؟

الشاب الاول : نعم .. هو نفس القرار القديم .. من قرر ان يثور فقد احرق مركبه حين اتخذ قراره .. فلا يملك ان يعدل عنه ..

المجموعة : وهل اخترت وجهتك ؟

الشاب الثاني : مازلت اؤمن ، بأن قائدا منتصرا .. أقدر على صنع امة من قائد مهزوم ..

المجموعة : في الطريق الى القدس .. جند ينتظرونك ..

الشاب الثالث : لكنني لن أعدم حيلة ..

المجموعة : فان ضيقوا الخناق عليك ..

الشاب الرابع : قاتلت .. (سكتة قصيرة) .. سأقاتلهم بسيف من سيوفهم ..

المجموعــة : فان خذلك السلطان •• وسخر من افكارك ••

اسامــة : لن افكر في هذ الان •• فتلك حكاية اخرى •• حكاية جديدة تماما ، قد تذكر فيها كلماتي •• وقد تنشأ فيها كلمات اخرى اعمق حكمة •• ولكن اسمي لن يذكر في كل الاحوال ••فستصبح فيها جماهير الامة •• هــي صاحبة الكلمة ، وصاحبة الفعل ••

المجموعــة : اسامة حسم الامر •• واتخذ قراره • اسامة عرف طريقه فما من شيطان يفلح في ان يثني الثائر عن عزمه ••

ابو الفضل : (زاعقا بكل ما في طاقته) •• انت يا من هناك •• ان كنت تقصد ان تخيفنا فنحــن لانخافك •• وان كنت لاتنوى شرا تقدم واكشف عن نفسك ••

اسامــة : انا ساع للخير •• وابحث عن صحبة خير يا شيخ ••

ابو الفضل : (في شعور بالارتياح) انزلوني •• (فيعيده حسان وعمر الى الارض) •

اسامــة : الى اين وجهتكم •• ؟

حسان : القدس •• وانت ••

اسامــة : (هاتفا بسعادة) •• القدس •• (ويدور حول التل ليهبط اليهم) ••

ابو الفضل : (في شعور طاغ بالظفر) هــذا الشاب القوى •• قادر على ان يحمــلني وحــده حتى القدس •• (ويضرب المحفة بعصاه) ليحمل بعضكم بعضا •• فوق هـــذا الخشب الغليظ ••

اسامــة : عموا صباحا ••

الجماعة المسافرة : عم صباحا ••

ابو الفضل : أأنت هارب من ساحة القتال يافتى •• ؟

اسامـة : (كان السؤال مفاجـأة له) أنا •• ؟ لا •• ان القتال يدور الان في القدس •• فلو كنت فارا منه •• لمـا اتجهت اليه ••

ابو الفضل : ومع ذلك •• فلابد من سبب لوجودك بعيدا عن القتال •• ان لي من الاحفاد تسعة يجاهدون مع صلاح الدين •• وقد استشهد من ابنائي واحفادي تسعة وعشرون مع زنكي ونور الدين •• اما ذراع هذا الرجـل فلن احدثك عنها •• فسيحدثك هو عنها بما فيه الكفاية •• فهو لا يمل الحديث عن ذراعه التي بترت في موقعة قتل فيها عشرين افرنجيا ••

عبدالرحمن : (متضايقا) يحسن ان اذهب فأنام •• (وينتحى جانبـا فيتمدد على الارض وما يلبث ان ينام) •

حسان : (الى عمـر) سيطول بينهما الحديث •• فلنحظ نحن ايضا بساعة نوم •• (وينتحى كل من حسان وعمر جانبا فينام) •

عائشة : لم لا نوفر كل الحكايات للطريق ياجدي •• فربما كان ضيفنا بحاجة الى الراحة ايضا ••

ابو الفضل : ضيفنا لا يشكو •• كما أني لا أشكو •• (الى اسامة) •• هل انت متعب حقا ؟

اسامـة : (الى عائشة) انني سعيد لان اكون بينكم •• فلقـد اضنتني الوحدة •• وبامكان سيدتي ان تترك الجد في رعايتي •• وتلتمس لنفسها قدرا مـن الراحة •• ان شاءت ••

ابو الفضل : فلتتركيني وضيفي ياعائشة ••

اسامـة : أو فلتبقى ان شاءت ••

ابو الفضل : او ابقى ان شئت ••

عائشة : اخشى ان تركتكم ان يفوتني شيء أحب ان اسمعه ..

ابو الفضل : لقد سمعت حكاياتي كلها منذ كنت في المهد ..

عائشة : ولكني لم اسمع شيئا من ضيفنا ..

ابو الفضل : اه .. ضيفنا .. وانا ايضا لم اسمع شيئا منه .. سيكون لدينا متسع مع الوقت على اي حال لنسمع منه الكثير.. ان هذه الساعة الحلوة من الصباح تغري بالحديث عن الذكريات .. القديم منها والجديد .. ابامكانك يافتى ان تعرف شعور انسان يعود الى داره بعد فراق دام مائة سنة ؟

اسامة : بامكاني ان اتخيله ..

ابو الفضل : لن تدرك هذا الشعور بالخيال وحده .. فهو يستحيل على الخيال .. كما يستحيل على الوصف .. فانا لا ادري كيف اصفه لك..ان شيئا ما يرف بداخلي ، كانما هو خلاصة الف حياة ضاق بها صدري المحدود . يملاني احساس غريب باني تجاوزت الارض .. واكاد ألمس السماء بعصاي لورفعتها .. شيء يجعلني التمس الاعذار لايامي الماضية الكئيبة كلها لما حملته إليّ من تعاسة طويلة وسوء حال . أحس باني عدت صبيا ..ولدا صغيرا لاتتسع الدنيا لضحكاته (يضحك) .

عائشة : ان هذه الحدة في الشعور تجهد قلبك ياجدي .. انها فوق طاقتك .

ابو الفضل : ان بي طاقة الف رجل ياعائشة .. لا تكوني كجدك الصغير حسان .. فتحرميني متعتي ..

عائشة : فلنترك ضيفنا يتكلم .. ان شئنا ان نبادله الحديث ..

ابو الفضل : (الى اسامة) هل يضايقك كلامي ؟

اسامة : أنا منصت اليك بكل جوارحي ..

ابو الفضل : (الى عائشة) ارأيت .. (ثم الى اسامة) .. ومع ذلك، فلتأخذ نصيبك من الحديث .. لأقوم بواجب الانصات لــك ..

اسامــة : (الى عائشة بعد برهة تأمل) ان بك شـيئا يذكـرني بانسانة اعتز بها في داري ..

ابو الفضل : أين هي دارك .. ؟ (ولكن اسـامة يظل معلقا عينيه بعائشــة) .

عائشة : أهي زوجتك .. ؟ ..

اسامــة : لم تتزوج بعــد ..

ابو الفضل : ان عائشة مخطوبة ايضا الى ابن عمها ..

عائشة : (الى اسـامة) أهي جميلة .. ؟ ..

ابو الفضل : (مستطردا) ان اسمه هشام .. وهو واحد من اولادنا التسعة الذين يجاهدون .. ولابد اننا سنلتقي به عند ابواب القدس .. ان هشام وعائشــة .. هما احب احفادي الى قلبي ..

عائشة : (الى اسـامة) ما اسمها .. ؟ ..

ابو الفضل : الديك انباء جديدة عن الحرب في القدس .. ؟..

اسامــة : لا اكثر مما تعرفون .. طلب الفرنجة ان يسلموا المدينة للمسلمين .. ففرض صلاح الدين شروطا امهلهم اربعين يوما لقبولها .. (الى عائشة) .. اسمها بثينة ..

ابو الفضل : (مروعا) .. ماذا .. ؟ .. اتقـول انهم طلبوا ان يسلموا المدينة ؟ ويخرجوا منها احياء .. هكــذا ..؟ وقبل صلاح الدين ؟ .. لا مذابح .. لا انهار دماء .. لا نيران تلتهم اجسادهم الشمعية النتنة ..

اسامــة : ما اظن ان قلب صلاح الدين يطيق شيئا من هذا ..

ابو الفضل : (صارخا) فهو ضعيف القلب اذن •• اتعرف لماذا قبل عرضهم •• ؟ •• لانه لم ير بعينيه مارأيت •• لانه لم يكن هناك ••

عائشة : لن تعود الى هذه الذكرى ياجدي •• فقد اتفقنا على ان ننسـاها ••

ابو الفضل : ننساها •• ؟ •• ان بامكانكم ان تنسـوها •• انت وهـو •• وهم وهن •• وصلاح الدين ومن معه •• فهي بالنسبة لكم جميعا ، ليست اكثر من عبارة في حكاية ركيكـة تروى حـول موقد بعـد العشاء •• ولكني عشتها •• وعشـت مافيها من رعب (الى اسـامة) اترى •• ؟ •• ان الكلمات لاعجز من ان تصور الحقيقة •• فحين يبرز لك قط في الظلام فجأة •• فانت تستخدم كلمة الرعب •• فتخيل اذن خمسين الفا او ستين الفا او يزيد •• من الاهل والاقارب والجيران •• تأكلهم النيران •• داخل مسـجد احكمت ابوابه •• وتخيلهم كيف يصرخون في آن واحد •• بينما النيران تأكل اجسادهم الطاهرة •• وانت ترى وتسمع هذا كله •• والسنة النيران تلفح وجهك •• هل يمكن ان تسمى هذا رعبا•• لقد شاهدت الجحيم بعيني يافتى وهـو يتلقف اهل مدينة •• وخضت حتى صرت في أنهار من الدم •• دم خمسين او ستين الفا من الاهل والاقارب والجيران ذبحوا في الشوارع •• قالت لي امي •• اهرب • وتلقت سيفا في صدرها •• ظللت اجري واصرخ •• وصراخ المدينة يلاحقني شهرا باكمله او يزيد • حتى دوابنا قتلوها •• ما من شيء حي يدب على الارض الا قتلوه •• انـه الحقـد يافتى •• الحقـد ياعائشة •• غيلان حاقدة •• انطلقت من جهنم لتقضي على الحياة •• الغيلان ترحم حين تشبع •• ولكن حقدهم لم يشبع ابدا •• ابدا •

عائشة : لقد انتهى ذلك منذ زمن بعيد •• كان كابوسا رهيبا حقا •• ولكنه انتهى •• وها نحن عائدون الى القدس••

ابو الفضل : لقد عشت حياتي كلها على امل ان اشهد يوم الانتقام •• فاذا بصلاح الدين يقبل ان يوقف القتال ويملي شروطا•• اية شروط •• ان يدفعوا اموالا ليقيم بها قصورا لقواد جنده ؟ أين أنت يازنكي لتقيم جبلا من جماجمهم •• أين انت يازنكي لتواجه شياطين الحقد بسيوف الانتقام النارية ••

اسامة : مهلا ياجد •• مهلا •• ليس من خلقنا ان نقاتل عدوا القى سلاحه •• ولن يكون الانتقام طريقا الى الحياة ابدا ••

ابو الفضل : كلام رخو لا يعجبني ••

اسامة : ليس المهم ان ننتقم لمذبحة مضت ، ونحن قادرون على الانتقام •• وانما المهم هو ان نمنع عن امتنا مذابح جديدة ••

ابو الفضل : لن يمنع عنا مذابح جديدة •• الا ان نجهز عليهم في مذبحة من نوع مذابحهم • ان لم يكن صلاح الدين يدرك هذا •• فانا افهمه اياه •• (يندفع في ثورة فيضرب الرجال النائمين بعصاه) هيا انهضوا ••• لنرحل فورا •• (الى اسامة) •• سيقبل الفرنج شروطه •• ولابد وان اسبقهم اليه •• هيا انهضوا ايها الموتى •• (وينهض الرجال مفزوعين فيسرع ابو الفضل فينحط على المحفة استعدادا للرحيل) ••

عبدالرحمن : (وهو يفرك عينيه يمسح عنهما اثر النوم) اللهم اجعله خيرا •• كنت ارى في المنام ان الدينا اشتعلت فيها النيران ••

ابو الفضل : لن تسلموا من النيران لو بقينا هنا دقيقة اخرى ••

عمـر : مـاذا حدث •• ؟ ••

حسان : نحن ماكدنا نغمض اعيننا •• (ظهرت بقية الجماعة وقد اصابهـا الرعب) •

ابو الفضل : ان صلاح الدين يسعى ليحقق نصرا هزيلا •• وعلينا ان نعجل حتى نوقف هذه الكارثة ••

حسان : (يتثاوب) ماكان لك ان توقظنا من اجل هذا ••

عمـر : لا يوجد نصر هزيل •• واخر سمين •• النصر هـو النصر •• يكفي ان نسترد مدينتنا ••

ابو الفضل : ولكننا لن نسترد انفسنا بنصر كهذا •• ارفعوني ••

عبدالرحمن : الن يحملك اخونا الشاب •• ؟ ••

اسامـة : ان معي فرسـا وديعا •• ينتظر خلف هذا التل •• فأن لم تمانع حملتك عليه ••

ابو الفضل : يبدو انه لم يبق في ارضنا سوى الحملان الوديعة •• والجياد الوديعة •• والقادة طيبي القلوب •• وعلى كل، فلنمض اليه •• فهو افضل من هذه الجياد المستهلكة •• (وهـو يشير الى من معه من رجال) •

(يسمع وقع حوافر جواد مقبل مـن بعيـد •• وصوت يردد) :

ياقـوم •• لقد انتصرنا في القـدس •• سلمت المدينة للمسـلمين ؟ •

(يرتفع ضجيج جماعات مسافرة قريبة •• تهلل وتكبير لنبأ النصر •• « الله اكبر •• الله اكبر •• صدق وعـد الله » ••••) •

الجماعة المسافرة : مـاذا يقـول :

(عبدالرحمن يهرول فيصعد التل •• ويرهف سمعه •• ويتكرر اعلان النبأ) ••

عبدالرحمن : (هاتفا) انتصرنا في القدس •• سلمت لصلاح‌الدين ••

(كان للنبأ اثره العنيف في الجماعة المسافرة •• فهم يصرخون فرحا •• ويتعانقون •• وتتردد عبارة : « حمدا لله •• حمدا لله ») ••

حسان : سنصلي الجمعة في المسجد الاقصى يا ابي ••

عائشة : لقد عادت الينا قدسنا ياجدي ••

عبدالرحمن : لم تذهب ذراعي هبـاء ••

عمـر : ولا التسعة والعشرون الذين استشهدوا ••

عائشة : هيا نرحل •• ماذا ننتظر ••

اسامـة : (الى ابي الفضل) فلنعجل بالرحيل ياجدي •• فأنني أحمل رسالة للسلطان •• وعلي أن اسـلمها اليـه قبل ان يهبط المسـاء ••

(ولكن ابا الفضل واجـم منكس رأسه في يأس) ••

الجماعة المسافرة : ماذا دهاه •• ؟ ••

عائشة : الم تسمع •• لقد انتصـرنا ياجدي •• وعادت اليك قـدسك •• سندخلها اليوم رافعين رؤوسنا •• نمشي في خيلاء المنتصرين • الا يفرحك هذا ••• ؟ •••• (لحظـة صمت) ••

ابو الفضل : (في حزن وهـو يمضى مدليا رأسه فينتحي جانبا) انه نصـر فاتر لا يشفي ••

حسان : لا يوجد نصر فاتر •• وانما يوجد مرضى لا يشفيهم سوى انهار الدم ••

عمـر : يجب ان نرحل على اية حال .. لنسبق غيرنا الى المدينة.

ابو الفضل : (وهو يجلس في سـكون كئيب) لم يعد هناك داع للعجلة احس برغبة في النوم (وينطوي على نفسه) .

(الجماعة المسافرة في دهشة .. وينسحب الضوء من على خشبة المسرح) .

* * * *

(يكشف الضوء عن احد ابواب القدس على يسار المستوى الاعلى .. على جانبه وقف جند عرب .. وفي جانب صندوق الغرامات التي تحصل من الفرنج الخارجين .. وخلف الصندوق جلس الامين .. وهو رجل صموت ينصت ويتابع بعينيه ما يجري ويهز رأسه ولكنه لا يتكلم .. ان الفرنج الخارجين بعد ان يسددوا الغرامة .. يعبرون المستوى الاعلى يمينا .. ثم يظهرون على المستوى الادنى فيعبرونه ليخرجوا من اليسار . مع بداية المشهد نرى الحارس الاول يناقش رجلا افرنجيا في حوالي الخمسين .. ومعه زوجة سمينة ، وطفلة . وفي نفس الوقت يهرول تاجر الغلال على المستوى الاعلى متجها الى البوابة .. وفي المقدمة ... جنود اشبيلية الاربعة .. يجيلون اعينهم فيما حولهم بحثا عن اسامة .. ويظل هذا المشهد متجمدا لحظة .. ثم تدب فيه الحياة) ..

الحارس الاول : (الى الافرنجي في عصبية) سبعة عشر دينارا يا افرنجي .. فلا تساومني ..

الافرنجي : لابد ان هناك خطأ في الحساب ياسيدي ..

الحارس الاول : (في حنق) عشرة دنانير عن نفسك .. وخمسة عن زوجتك .. وديناران عن الطفلة ..

الافرنجي : هـذا كثير ..

الحارس الأول : (الى الامين) كان من الافضل ان نبيع هؤلاء الناس جميعا في الاسواق ..

(الى الافرنجي) اترك زوجتك لـو اردت .. فتربح خمسة دنانير .. ماذا قلت ؟

الزوجـة : (متباكية) هل تتركني ياجان .. ؟ ..

الافرنجي : لا تخافي .. فهم لن يقبلوك لو اني تركتك ..

تاجر الغـلال : (الى الحراس في عجلة وهو يلهث) هل سـبقني الى المدينة تجار غلال .. ؟ ..

الحارس الاول : (بينما يعد الافرنجي الدنانير الى الامين) سبقك من هـذا الباب خسون يشبهونك .. وربما كانوا جميعا تجار غلال .

التاجـر : (مصدوما) هذا ما كنت اخشاه .. لقـد جهزت في « حلب » مائة ناقة محملة بالغلال .. ولن تصل قبل الليـل ..

الحارس الاول : أهي هديـة ؟ ..

التاجـر : (مشدوها) هدية .. ؟ .. هـدية لمن .. ؟ .. هـل وصلت غلالهـم .. ؟ ..

(ظهرت مجموعة جديدة من الفرنج) ..

الحارس : (في غير اكتراث) لا اعلم .. فالابواب كثيرة .. (الى الافرنج) كم عددكم يافرنجة .. ؟ ..

التاجـر : ستكون مصيبة لو سبقت غلالهم غلالي ..(ويندفع داخلا .. بينما ينشغل الحارس الاول بالفرنجـة .. ويضي الفرنجي الاول بزوجته وطفلته) ..

* * * *

(ظهر تاجر العبيد من يسار المسرح •• على المستوى الادنى •• خلفه تابعان •• التاجر قصير القامة ، سمين •• يحمل في يده كيسا صغيرا به تمر •• بين لحظة واخرى يدس في فمه تمرة •• ثم يقذف النواه بفمه بعيدا •• وهو يسير متثاقلا ، في ثقة وامتلاء) ••

التاجر : (فور ظهوره) ان اتفاقا كهذا الذي اجراه صلاح الدين مع الفرنجة لن يتيح لنا الا اسوأ بضاعة •• رجالا كانوا او نساء •• فما من افرنجي سيمتنع عن دفع مثل هذه الغرامة الضئيلة •• الا ان يكون من نفايات البشر، معدومي القيمة في الاسواق •• (ويبصق نواة •• ثم يشير الى احد تابعيه)ادهسها ياهذا •• ادهس النواة ••

التابع : (يستجيب للامر فيدهس النواة ثم يسأل في دهشة ••) لماذا ياسيدي ؟

التاجر : الغبي لا يعرف لماذا •• لتدسها في التراب ياأحمق •• فتنمو نخلة ••

التابعان : نخلة ـ ؟ ! ـ

التاجر : سنكون بحاجة الى الكثير من النخل ، في المستقبل •• امام هذا الباب ، لنعرض عليها تجارتنا من الجواري في ايام الاعياد ••

التابعان : •• آه •• (ويضحكان في اعجاب بالتاجر) ••

التاجر : (يبصق نواة اخرى) ادهسها ••

(التابعان يتسابقان لدهس النواة •• ومن ثم فكلما قذف التاجر بنواة جرى احدهما او الاثنان معا•• لدهسها) ••

(ظهر الافرنجي الاول وزوجته وطفلته من اليمين ••وتستلفت الزوجة بسمنتها نظر التاجر •) ••

التاجر : (الى الزوج وهو يشخلل كيس نقوده) اتبيعها ••؟•• ويغمز بعينيه الى الزوجة فتصرخ ويضج التاجر وتابعاه بالضحك •• ويدس التاجر تسرة في فمه •• ويخرج الجميع)

* * * *

(الجنـــود الاشبيليون يعبرون المســـتوى الاعلى الى البوابـــة) •

الاشبيليون : (الى الحارس الاول) الم يظهر بعد •• ؟ ••

الحارس الاول : لم يظهر بعد ••

جندي اشبيلي : انت بالطبع لن تغفل عنه ••

الحارس الاول : انني مفتوح العينين •• ولن يفلت حتى ولو اتخذ هيئة ذبابة •• لن تفلح معي الاعيبه الاندلسية (الاشبيليون يضحكون ضحكة صغيرة) •

جندي اشبيلي : انت لم تنس اوصافه •• اليس كذلك ••

الحارس الاول : انه اندلسي •• طويل القامـــة •• عريض المنكبين •• حليق الوجه •• يحمل كتابا •• ويركب جوادا ابيض••

الاشبيليون : بالضبط •• (ثم الى بعضهم البعض) انــه ذكي •• كواحد منا • فلنمر على الابواب الاخرى ••

(ويستديرون ليعبروا المستوى الاعلى ، ويخرجون)••

(ظهرت جماعة الفرنج الثانية على المستوى الادنى •• لتعبره الى يسار المسرح في كابة) ••

(ودخل من اليسار في نفس الوقت « تاجر النفائس »•• وهو زاهي الثياب متألق •• من خلفه عبد يحمل كرسيا

صغيرا •• كلما توقف التاجر اسرع العبد فوضع الكرسي تحته وقــد يجلس التاجر عندئذ او لا يجلس •• فاذا جلس راح العبد يهوّي له بمروحة ثمينة يحملها) •

تاجر النفائس : (فور ظهوره محدثا العبد) كانت القدس على مــر العصور •• اعظم سوق للنفائس • يحكى أن جوهرة واحدة بيعت فيهــا لاميرة افرنجيــة جاءت تحج بمائة الف دينار •• (يتوقف ريثما يحملق بامعان في المجموعة الفرنجية المارة •• ويهز رأسه في تأمل •• العبد يضع الكرسي تحته •• ولكنه لا يجلس ويستطرد :) كان صاحب الجوهرة يهوديا •• مات بعد ان قبض الثمن بســاعة •• ولا احد يعلم اين ذهب المبلغ ، فلم يكن لليهودي وارث •• (سكتة) ولعله مدفون في مكان مــا بالقدس •• اعني المبلغ (ويتوقف ويجلس) •• وا أســفاه •• سيمضي وقت طويل قبل ان تأتي اميرات من هــذا اللون للحج •• (يتنهد ويطرق مفكرا) •

تاجر العبيد : (الى الحارس الاول وقد ظهر امام البوابة ومعه تابعاه) ســلام الله على جندنا المنتصرين ••

الحارس الاول : وعليك الســلام ••

التاجــر : هل سبقني الى المدينة •• تجار •• مثلي •• ؟

الحارس الاول : ومــا نــوع تجارتك •• ••

التاجــر : (يبحث عن كلمة مناسبة) الناس •• (ويلقى بنواة بلح يدهسها احد التابعين) •

الحارس الاول : آه •• فهمت •• لقــد سبقك واحد وخمسين •• وكلهم يشبهونك •• وربما كانوا جميعا ••

التاجــر : (مقاطعا في عجلة) هل بدأ البيع •• ؟ ••

الحارس الاول : بيــع ماذا •• ؟ ••

التاجـر : من لم يدفع الغرامـة ..

الحارس الاول : لا اعلـم ..

التاجـر : (يبصق نواة فيدهسها تابع) يحسن ان اسأل من يعلم..

(يندفع داخلا من خلفه التابعان) ..

تاجر النفائس : ان معي جوهرة نادرة .. لن اقبل ثمنا لها اقل من مائة الف .. (وينهض ليتابع السير ويرفع العبد الكرسي ليتبعه)... والاميرات العربيات .. حريصات على الا يثقلن على ازواجهن بثمن جوهرة كهذه .. لذلك لن ابيعها الا لأميرة افرنجية تأتي للحج .. ساحتفظ بهـا حتى يباح للفرنج زيارة القدس من جديد .. (يتنهد).. ساقنع السـلطان بأن يعجل باباحة الحج للفرنج .. فالاسـلام يوصينا بالعفو عند المقدرة ..

(يختفي من وراءه العبد)

(تخرج سـارة باندفاعة من البوابة ... تتلفت باحثة عن شخص ما ... ومن خلفها سـيمون تحملق فيما حولها بغير اكتراث ، وتقضم تفاحة ..) ..

الحارس الاول : عشرة دنانير ياامرأة .. خمسة عنك .. وخمسة عنها ..

سـاره : نحن لن نغادر القدس .. (الى سيمون) .. لقد فـر الملعون بالدين ياسيمون .. (سيمون تجلس على حجر بجانب البوابة في غير اهتمام) .. هذا النصاب العجوز.

الحارس الاول : ان لم تدفعي الغرامة فستباعين ياامرأة .. ولك الخيار.

سـاره : (في حدة) أنا لست افرنجية ياهذا .. (صدم الحراس). انا عربية .. اتسمع ..عربية .. وجدي من مكة نفسها. وهـذه سيمون ابنتي ..

(تفتش بعينيها عن مدينها) ••

الحارس الاول : (الى امين الصندوق) هل تصدق ما تقول هذه المرأة ••؟ •• (ثم الى ســاره) أأنت يهودية يا أمرأة •• ؟ ••

ســارة : نعم •• ولقد اعطانا الســلطان الامان ••

الحارس الاول : انا لا افهم لماذا منحهم السلطان الامان ••

سيمون : سيدي كبير الحراس •• انني افرنجية ••

ســارة : (صارخة) ســيمون ••

سيمون : كان ابي افرنجيا •• فانا اذن افرنجية ••

ســارة : لا تستمع اليها ياسيدي •• فتلك اكذوبة أطلقتها قبل مجيئكم حتى يحسن الفرنج اليها •• لقد جاء جدي الاكبر الى القدس من مكــة نفسها •• اما ابوها فقد مات قبل ان تولد •• وكان يهوديا مثلي (الى سيمون) والله لاقطعن طرف لسانك حين نعود الى البيت ••

(سيمون تطلق ضحكة عالية •• وتستأنف قضم التفاحــة) •

(ويظهر تاجر النفائس على المستوى الاعلى متجها الى البوابة ومن خلفه العبد) •

الحارس الاول : (الى الامين) احس بان هذه المرأة تكذب •• انا لاتنطلي علي مثل هذه الالاعيب النسائية ••

ســارة : انا لا اكذب ياسيدي •• هل انا كذابة ياسيمون ••؟••

سيمون : انا افرنجيــة ••

ســارة : طيب •• فلتأخذوها طالما انها افرنجية •• ولن ادفع لها الخمسة دنانير ••

سيمون : لاتدفعيها •• فسيشتريني احد الامراء ، فاسكن قصرا

عظيما يطل على نهر دجلة • أو على النيل •• ارجوك
يا امي •• لاتدفعيها ••

سـارة : ما افظعك اليـوم ياسيمون ••

الحارس الاول : اسمعي ياامرأة •• نحن متعبون •• وهذا اللغو فوق احتمالنا اما ان تدفعي الغرامة •• او تدخلي ••

سـارة : انني باقية ياسيدي •• فانا انتظر هنا رجلا نصابا •• اقترض مني عشرين دينارا •• مني انا المرأة الضعيفة •• وينوي ان يغريها •• انه افرنجي حقير ياسيدي ••

(سيمون تضحك) •

سـارة : ما اتعسني بك ياسيمون • ارايت ياسيدي كيف تعاملني هذه البنت الجاحدة (وقع بصرها على تاجر النفائس الذي توقف عند البوابة فوضع له العبد كرسيه فجلس يتابع الموقف في صمت) آه ياسيدي لو تعلم قـدرما أعاني من اجل ان اكفل لي ولها حياة شريفة (تتعهد ان تسمع التاجر) انني امتلك خانا متواضعا ياسيدي ، في الساحة الوسطى بالمدينـة • به حجرات للنوم فرشتها باحسن الاثاث ، واتولى امر الطعام والشراب بنفسي • أشرف على راحة كل العملاء ، بلا تفريق•أطلع وأنزل•• اروح واجيء •• أطهو وأغسل •• ادور حول نفسي طوال اليوم كالنحلة ، حتى ارضي كل العملاء ، واكفل لي ولها حياة شـريفة • ومع ذلك فهي لا تكف عـن تعذيبي •• هذه البنت الفاسدة •• انظروا كيف تعاملني امام الناس ، وعلى بوابة المدينة• ما اتعسنيبكياسيمون •• ماأتعسني •• (تجفف دموعها وتضحك سيمون ضحكة خفيفة) ••

الحارس الاول : (هامسا الى سـارة) تقولين •• في الساحة الوسطى ••

سـارة : (من خلال دموعها) نعم ياسيدي •• بالقرب من مسجدكم الغالي ••

الحارس الاول : (الى الامين) مازلت لا اصدق هذه المرأة •• (ثم هاتفا في سـارة) •• فلتفسحي الطريق للناس اذن ••

ساره : سمعا وطاعة ياسيدي •• (تنضم الى ابنتها) ••

(تاجر النفائس يلقي نظرة اخيرة على سارة وسيمون ثم يتقدم من الحراس في عظمة) ••

تاجر النفائس : سـلام الله على جندنا البواسل •

الحراس : وعليك السـلام ••

التاجـر : من قلب عامر بالايمان •• اقدم لكم اخلص التهاني بالنصـر المجيد ، لقد فتح الله لنا بكم فتحا مبينا •• فباسم الله ندخلها •• وعلى بركته تعالى نسعى فيها •• (ويدخل ومن خلفه العبد) ••

التاجـر : (يتوقف ويلتفت لسـارة) في السـاحة الوسـطى ياامرأة •• ؟

سـارة : نعم ياسيدي •• بالقرب من مسجدكم الطاهر ••

التاجـر : (الى الحراس) سأتولى البحث عن الحقيقة بنفسي •• فانا ايضا •• اشـك في صـدقها •• (ويمضـي في عظمـة) ••••

(تتقدم جماعة جديدة من الفرنجة •• تضم رجلين وامرأتين وثلاثة اطفال) ••

الحارس الاول : كم عددكم •• ؟ •• (ويعدهم) ••

(من الواضح ان ثمة علاقة تربط بين هذه الجماعة وسـارة وابنتها) ••

ساره : (الى جماعة الفرنجة) ليصحبكم الشيطان في رحلتكم المهينة يا احبائي .. لقد بكيت والله فرحة لفراقكم .. (تضحك) ..

سيف الدين : ستة وثلاثون دينارا .. (يدفع احدهم المبلغ الى الامين في صمت) ..

سيمون : (منادية احد الفرنجة) شارل .. (الرجل يلتفت اليها) لا تنس ان تلقى بزوجتك في البحر كما وعدتني .. (وتخرج لسانها للزوجة التي صعقت .. ثم تضحك ويضطرب الرجل) ..

الزوجة : (صارخة في زوجها) هل وعدتها بهذا حقا .. ؟ .. لن أرحل معك .. (وتقتحم بوابة المدينة عائدة .. فلتلحق بها بقية الجماعة لاعادتها .. ويشتد ضحك سيمون وأمها ..) ..

* * * *

(يخرج زياد مندفعا من البوابة .. ويقف يتلفت حوله في قلق) ..

الحارس الاول : عمن تفتش يا زياد .. ؟ ..

زياد : (مضطربا) عن ... صديق لي .. (مستدركا) .. بعض الاقارب ..

الحارس الاول : آه .. ينوون الاقامة في القدس ..

زياد : نعم .. نعم .. (يخطو ليعبر المستوى الاعلى وهو ما يزال يتلفت حوله) ..

الحارس الاول : واين شيخك عماد الدين .. ؟ ..

زيـــاد : هناك .. مع السلطان عند الصخرة (ويتابع زياد طريقه)

* * * *

الشاب الرابع : (من المجموعة المعاصرة) اســمحوا لي ان اعبر عن دهشتي من منهجكم في الســـير بالحكاية .. ما الذي تنوون صنعه باسامة ؟ .. اراكم قد ملأتم المدينة بتجار العبيـــد ، وتجار الكلام ، وتجار الغلال ، والحواة ، والافاقين ، وكل الوان السوس . وضربتم حصارا على الابواب بالجند المترصدين لاسامـــة .. ولم تدخلوا المدينة فقيرا واحدا يصلح ان يكون له سندا حتى الان.. انتم تسيرون به الى الموت المحتم ..

الشاب الخامس : هل يمكن ان تتصـــور واقعا مختلفا للمدينة دون ان تخالف المنطق .

الشاب الرابع : ولكنكم جردتم اسامة من سيفه .. واغلب الظن انكم ستجعلونه يتخلى عن فرســـه .. فهل هذا منطق .. ؟ ..

بقية المجموعة : وماذا تقترح .. ؟ ..

الشاب الرابع : اضافة صغيرة الى الحكاية ..

الشاب الاول : عجـــل بهـــا ..

الشاب الرابع : عدد من شباب العامة .. بلغتهم انباء أسامة وكتابه . فقد تحدث عنه الجند الباحثون عنه في البلاد ، واهل عكا ، وزياد بوجه خاص ، فتجمع هؤلاء الشباب امام باب القدس يوم فتحها ينتظرون أســـامة ، ليضعوا انفسهم تحت امرته ، فيكونوا ســـندا له ..

(لحظة تأمل .. يظهر خلالها زياد في المقدمة فيقف في قلق مرسلا بصره بعيدا خارج يسار المسرح) ..

الشاب الخامس : اضافة معقولة .. لا املك ان ارفضها ..

الشاب الاول : كم عددهم .. ؟ ..

الشاب الثاني : هل نسـميهم . ؟ ..

الشاب الثالث : من اين أتوا . ؟ ..

الشاب الرابع : الشباب هم الشباب في كل عصر . لا اهمية لان نسميهم. ليكونوا سبعة .. بينهم فتاتان .. لاشيء يميز السبعة بشكل خاص .. ليكونوا مثلنا ..

الشاب الاول : لنكن نحن بالتحديد .. فلن نقف مكتوفي الايدي ، ونترك بطلنا وحيدا في مدينة غصت بالاعداء ..

المجموعـة : (في اتفاق) .. نحن السبعة ، جئنا نتلقى عن اسـامة فكرة ونكون سندا له ، في صراعه الحتمي القادم ؛ نحن من العامـة .. اضنى الفقر اهالينا والخوف ، يؤرقنا مستقبل امتنا ، لانقنع بالصبر حلا ابديا لمشاكلها . نؤمن بالحد الساخن ، بالثورة.. (صمت) .. (الى المجموعة)

زيـاد : (الى المجموعة) عفوا ايها الاخوة ... ألم يمر بكم أسـامة .. ؟ ..

المجموعـة : نحن مازلنا ننتظره ..

زيـاد : اخشى ان نلفت اليه انظار الجند ، اذا نحن التفتنا حوله ... ساخاطبه بالاشارة من بعيد .. وسنتحين الفرصة للحديث معه .. ولعلنا نسـتطيع ان نجتاز به بوابة المدينة (وتحين منه التفاتة الى يسار المسرح) لقد بدأ الاهالي يفدون الى المدينة ..

الشاب الثاني : في وقفتنا هنا شاهدنا العديد من الناس يدخلونها ..

زيـاد : (في اسـف) آه .. نعم .. هؤلاء الناس .. لقـد رأيتهم داخل المدينة .. سيحزن اسامة حين يعلم انهم سبقوه اليها .. (ويلقي نظرة اخرى على جماعة الاهالي

القادمين فتظهر عليه دهشة شديدة ممتزجة بالفرح) ..
(على المستوى الادنى ، ظهرت من اليسار جماعة ابي الفضل في المقدمة حسان واسامة يحملان فيما بينهما ابا الفضل على المحفة ، ثم بقية الجماعة . الارهاق واضح على الجميع . توقفوا فجأة ، وقد تعلقت أعينهم في ذهول بالبوابه . لقد تحقق الحلم اخيرا ، وصار حقيقة . تحرك ابو الفضل الذي كان غافيا وقد اسند رأسه على قبضة عصاه رفع رأسه ثم اخذ يتلفت حوله كالحالم . التقت عينا اسامة بعيني زياد .. فابتسم له في تواطؤ) ..

ابو الفضل : (يتنفس ملء رئتيه) انني اشم ريح القدس (متنبها تماما) هذه هي قدسنا يا ابنائي .. (صارخا) هذه هي القدس ..

(صمت .. عائشة تأخذ ابا الفضل على صدرها في هدوء خنقتها الدموع) ..

زياد : (هامسا الى المجموعة) ها هو ذا .. اسامة .. (تتجه انظار المجموعة في لهفة اليه) ..

ابو الفضل : انتم لاتعرفونها .. ولكني اعرفها .. اعرفها حتى وانا مغمض العينين .. ولو افترقت عنها الف سنة . انزلوني .. لن ادخلها محمولا .. اريد ان ادخلها على قدمي ..

حسان : لو دخلتها على قدميك .. لما امكن اسامة ان يمرق من الباب ..

ابو الفضل : (في اسى) هذا حق .. اريحوني اذن قليلا لألتقط انفاسي ..

(حسان واسامة يريحان حملهما على الارض .. عائشة تعاون ابا الفضل على النهوض .. وتمر لحظة صمت.. وهدأ الجميع وكانهم يصلون في سكون) ..

زيــاد : (هامسا الى اسامة) معي اصدقاء يريدون ان يتحدثوا اليك •• (اسامة يلتفت الى المجموعة في دهشة) ••

المجموعة : (هامسة) نحن معك •• (اسامة يجيل عينيه بينهــم ويبتسم في رضا ثم يتشاغل عنهم) ••

ابو الفضل : ما كنت اتصور ان اجد القدس في هذا الهدوء عنــدما اعود اليها • كنت اتصورني داخلا اخرى ، فأقتحـــم الصورة القديمة وقد انعكست بكل ما فيها من صراخ ونار ودم ، وصار القاتل مقتولا فيها •• ابصق على دماء الفرنج الجارية في الارض وأدهسها بقدمي ، والعــن اصحابها بكل لغــة عرفها الناس ••

عائشة : ان الله خير منتقم ياجدي •• فلنغسل قلوبنا من احزان الماضي ، حتى لاتفسد ايامنا الجديدة ••

اسامــة : اما انا فكنت اتخيل صورة اخرى ، صورة يوم النصر في عكا ، وفي سائر البلاد • ابواب المدينة مغلقة وقــد احتشدت امامها جماهير الناس •• يصرخون ليدخلوها والجند خلف الابواب يصرخون ليبعدوهــم • اليس غريبا ان نجد ابواب القدس مفتوحة على مصراعيها ••؟!

ابو الفضل : انا افسر ما غمض عليك من الامر ، لقد فتحوا الابواب لانه لاتوجد جماهير عائدة للقدس • فقد ذبح وحرق كل أهل المدينة • لم يفر منهم الا نفر قليل •• أنا واحــد منهم • ولا اظن ان احدا غيري عاش حتى اليــوم •• (يضحك في مرارة) انني الوحيد الباقي ••

عائشة : سرعان ما تمتليء بالناس •• فتعمربهــم الاســواق والطرقات والمساجد • وسيصعب عليك ان تشق طريقا في الزحام الى المسجد الاقصى لتصلي ••

ابو الفضل : لن اجد صعوبة في هذا .. فبيتنا لايبعد عن المسجـد الا بمائتي خطوة من خطواتي الصغيرة .. وانا صبي .. ولا اظنها تزيد عن مائتي خطوة من خطواتي الان .. (يجلس على المحفة هاتفا) .. احملوني وعجـلوا .. ادخلوا بي مملكتي .. (وتبتسم الوجوه) ..

(عمر واسامة يحملان ابا الفضل فيما بينهما) .

ابا الفضل : هيا تقدموا .. (الى اسامة) .. لاتضطرب يابني حين تمر بالجند .. اين كتابك .. ؟ ..

عائشة : مع عمتي في صرة ثيابها ..

ابو الفضل : امضوا بنا اذا . (يسير الركب في خطوات ثابتة ويخرج من اليمين ثم تتبعهم المجموعة المعاصرة .. ومعها زياد وتعود مجموعة الفرنج الاخيرة الى الظهر) ..

الحارس الاول : (يمعن النظر في الفرنج ثم يوجه اوامره الى سيمون) انت ايتها الشيطانـة .. لاتثيري شغبا امام البوابة .. دعي الناس يرحلوا في سلام ..

سيمون : (كتمت ضحكتها .. حتى تجاوزتها مجموعة الفـرنج بقليل .. ثم تنادي) شارل ..

الحارس الاول : (صارخا فيها) كفى .. (سيمون تضحك ضحكة خفيفة) (وتدخل جماعة ابي الفضل عن يمين المستوى الاعلى.. فتستلفت نظر الحراس جميعا وسارة وابنتها .. وتتلاقى وجها لوجه مع جماعة الفرنجة .. فيتفجر الحقد في كل الوجوه) ..

ابو الفضل : (يمعن النظر في وجوه الفرنج ، تتبدل ملامحه ، ثم يصبح وهو يلوح بعصاه) انهم الفرنجة .. ذووالوجوه الشمعية .. انني اعرفهم .. (الاضطراب يعـم المجموعتين ..

وكذلك جند البوابة) •• السفاحون القتلة •• الغيلان المنطلقة من جهنم •• (يحـاول ان يقفز الى الارض) انزلوني •••

(الجند يقبلون مهرولين ليستوضحوا الامر)

عائشة : (في ذعر) رحمة بنفسك ياجدي ••

اسامـة : (في رغبة لانهاء الموقف) امضِ ياعم عسر ••

ابو الفضل : انظروا كيف يرحلون بلطف •• وكأنهم في نزهـة •• انزلوني •

الحارس الاول : ماذا هناك ••؟••

ابو الفضل : الموت لهـم •• الانتقـام •• (جماعة الفرنج تنجح في الافلات) •• انتظروا ايها الجبناء ••

الحارس الاول : (يمسـك بـذراع ابي الفضل مهـدئاً مـن انت ياشيخ •• ؟ ••

ابو الفضل : انا اهل هذه المدينة •• انا صاحب القدس •• (ثم يصرخ في اعقاب الفرنجة) •• انتظروا ايها الغيلان ••

عائشة : تمالك نفسك ياجدي •• الا تبغي ان تعيش حتى تصلي في المسجد •• (ابو الفضل يطرق في الم •• وهو يلهث لفرط ما بذل من جهد) ••

حسان : (الى الحارس الاول) انه ابونا •• رجل قديم •• عاش مذبحة القدس يوم غزو الفرنج لها •• ونحن جميعا من سلالته ••

الحارس الاول : ولكن السلطان امن الفرنج على حياتهم •• وما باليد حيلة

ابو الفضل : اين هـو السلطان المتساهل •• ؟ •• خـذوني الى

السلطان .. سر بي اليه ياعمر .. ان الانتقام حق لهذه المدينة .. فليس من حق السلطان ان يقايض عليه ..

(يسير به عمر واسامة نحو البوابة ومن خلفهما بقية الجماعة .. تتمكن سارة وابنتها في جدار البوابة خوفا) ..

عبدالرحمن : (الى الحارس الاول وقد تخلف قليلا عن الجماعة) لقد قطعت ذراعي .. وانا اجاهد مع نورالدين .. أترى ..

(الحارس الاول يهز رأسه متأثرا وهو يتأمل الذراع المبتور ويلحق عبدالرحمن بالجماعة .. بينما ظهرت المجموعة المعاصرة وزياد على المستوى الاعلى .. فاستلفتت نظر الحراس) .

سارة : (هامسة الى ابنتها) اوف ... عجوز ولكنه مخيف ..

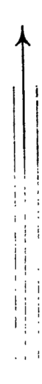
سيمون : (وتوثبتت عينيها على اسامة) ..

ما اروع هذا الشاب ..

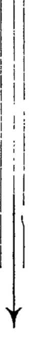
(ظهور الجند الاشبيليون على المستوى الادنى .. وقد بدأ عليهم التعب بشكل واضح .. واستعد حراس البوابة لاستقبال المجموعة المعاصرة ، وهم يتهامسون في تشكك وغير ارتياح) ..

ابو الفضل : (وهو يمر من البوابة) انظروا الى المدينة الهادئة .. انظروا الى المدينة النظيفة .. من يصدق ان حربا دارت هنا .. لقد غررت الغيلان بالسلطان الوديع .. لعبت لعبة الثعالب فادعت الموت .. ولن تلبث ان تستيقظ لتلتهم الدجاج الباقي ..

ــ ستار ــ



الفصل الثالث



المنظر :

(ركن من ساحة في مدينة القدس عند فتح صلاح الدين لها . في مواجهة الجمهور مدخل طريق في مستوى اعلى من ارض الساحة ... فهو يهبط اليها بسلم يتكون من عدة درجات حجرية . على المستوى الاعلى ، واجهة بيت له شرفة واسعة وعلى يمين بابه ثمة نافذة منخفضة).

الوقت :

(فيما بين الفجر والشـروق ... أسامة يجلس مطرقا على حافـة المستوى الاعلى بجانب السلم ... المجموعة المعاصرة موزعة على درجات السلم وهـم ينصتون في شرود الى الشاب الخامس الذي وقف يتحدث عن حلم .. ممتع استغرقه .. ويتجمد الموقف لحظة)..

الشاب الخامس : (مستأنفا حديثه عن حلمه) وتصبح القدس .. مثلا رائعا لالاف المدن ، بين اشبيلية وطنجـة والخرطـوم وصنعاء وبغداد . سنكون احياء حينذاك لنشهد باعيننا ما تخيلناه . وربما نكون في عمر الشـيخ ابي الفضل حين يتحقق هذا . ومع ذلك فلسوف تتنقل بين تلك المدن السعيدة بالرغم مـن هرمنا وضعفنـا .. لنلقي نظرة هنا .. ونظرة هناك .. ويحتوينا زحـام الناس السعداء .. في كل مدينة تخطو فيها . سنجد متعة تجل عـن الوصف بين الكادحين ، اذ نراهـم ، وما زالوا يكدحون ، ولكن الابتسام لم يعد يفارق وجوههـم الطيبة.سيبهجنا ان نلقاهم وقد صاروا بشرا .. يفكرون في الغد . فلم يعد قوت يومهم يشغلهم عن الغد وعـن الاخرين . لن يعرفونا بالطبع .. بل قد لايتنبهون الى اننا موجودون . ولكننا سنبتسم لانفسنا مـع ذلك ، ونبحث عن مكان نريح فيه اجسادنا المرهقـة ، نحاول

ان نستعيد بحب ، ذكرى هذه الايام .. ذكرى القدس النائمة ، المستسلمة لحلم المستقبل .. كعروس تنتظر شمس يوم زفافها . ونذكر يوم ان كنا هنا .. فتية غرباء عنها .. جئنا من كل بلد ، لنصنع شيئا من اجلها .. من اجل الاف المدن .. من اجل الجنة التي نريدها على الارض لامتنا ..

(صمت)

الفتاة (١) : وبعد سبعة قرون من الزمان .. سيكون الناس قد نسوا اصل حكاية الجنة التي ورثوها . ولكن ، قد يوجد بين شباب ذلك الزمن البعيد باحث عنيد ، في بيروت .. او دمشق .. او قرطبة .. او القاهرة .. يخلو الى نفسه ذات يوم لينظر في امور الدنيا .. فيسأل نفسه ، ترى كيف صنعت هذه الجنة .. ؟

ولكنه لن يعرف ابدا اننا كنا هنا ، في القدس ، في اولى ساعات النصر ، مع صاحب باب الفتوح .. نسعى لنصنع تلك الجنة . نرفض ان ننام ، ننتظر الصباح ، ونفكر فيه .. فيه هو .. ذلك الذي يأتي بعد سبعة قرون .. أليس هذا رائعا .. ؟ ..

(الابتسام يلوح على وجوه المجموعة .. وتمر لحظة صمت حالمة) ..

الفتاة (٢) : اسامة .. بم شغلت عنا .. اتفكر في بثينة .. ؟ ..

اسامة : تؤرقني فكرة .. فهل اصارحكم بها .. ؟ ..

الشاب الاول : لقد تعاهدنا على الا يخفى اينا عن الاخر شيئا .

اسامة : حينما كنت وحدى .. كنت اتحرك كل الوقت ولا اتكلم . ثم التقينا .. فاذ بنا نتكلم كل الوقت .. ولا

تتحرك • اخشى ان تصبح الاحلام زادا كافيا لارواحكم فتشبع ، ونستسلم للشعور بالاكتفاء والاسترخاء •

الشاب الرابع : انا افهم مايعنيه اسامة • انه يحذرنا من مخدر •• لو ادمناه •• فيستحيل علينا مقاومته ••

اسامة : ان واقعنا أليم يا أصحابي ، وهو بحاجة الى كل مانملك من يقظة ووعي • بعد قليل تشرق الشمس ، ويظهر معها السلطان امام قبة الصخرة ، ليشرف على اعمال التطهير بنفسه ، وستمتليء الساحة قبله بالجند كما كانت حتى الفجر • ستتلاصق كتلهم كحجارة الاهرام ، فلا تنفذ من خلالهم نسمة هواء • هل منكم من يستطيع ان ينفذ من خلال صفوفهم ليصل الى السلطان •• ؟ ••

(صمت)

الفتاة (٢) : هل تسرب اليأس الى قلبك يا اسامة •• ؟ ••

اسامة : لقد أمضينا في القدس يوما وليلتين • وها نحن قد اشرفنا على صباح يوم جديد ، ولم نفلح في ان نخطو خطوة واحدة فعالة • الزمن ينفلت من أيدينا يا أصحابي وقد ارسل السلطان ، كما نعلم ، يدعو وفودا من كل البلاد المسلمة ليصلوا معه الجمعة القادمة في المسجد الاقصى • وسيأتي معهم ، وربما يسبقهم ، الالوف من السادة والدراويش •• فوق من وصلوا بالفعل حتى الان •• وسيمتنع علينا بعدئذ ان نخطو خطوة صغيرة في الزحام •

الشاب الرابع : لعلكم تلاحظون الان ، اننا سرنا في طريق مسدود ••

الفتاة (٢) : ان لك عبارات مفجعة ، لاتكف عن اطلاقها • نحن لانرى طرقا مسدودة ••

الشاب الخامس : او نحن لم نجرب بعد ..

الشاب الرابع : لسنا بحاجة الى التجربة القاتلة ، لنفهم ان حول صلاح الدين قلاعا لا يمكن اختراقها .

الشاب الثاني : هل ترى ان ندير ظهورنا لاسامة ونرحل ..

الشاب الثالث : لن نرحل من هـذه المدينة الا الى السماء مباشرة ... او ان نبلغ الرسالة .. ليس في داري ما يجعلني حريصا على العودة اليها .

الشاب الرابع : لاشك انكم سئمتم حياتكم في دياركم ، فجئتم تبحثون عـن وسيلة فاضلة للانتحـار . اما انا ، فأحب الحياة يا رفاق ، احبها لنفسي ، بقدر ما احبها للاخرين . وما انضممت اليكم الا على امل ان اجعل هذه الحياة اكثر جمالا ، ألم احدثكم عن ابني .. ؟ ان لى ابنا صغيرا ، ولد منذ شهور .. واسمه طارق .. اريد اراه بعيني ، وهو ينمو في ارض تحررت من البوءس والحزن والقلق. فان كان لابد وان اموت ، فلن اموت الاميتة منطقيـة معقولة .

الفتاة (١) : كنت اظنك ، لكثرة ما تصرخ ، اكثرنا عزما ، وحرصا على التضحية .

الشاب الرابع : انني ارفض ان انقاد الى الموت بغير تبصر ، كما تنقاد الثيران الاندلسـية في حلبات اللهـو . دعني اسألك يااسامـة : ما الذي يجعـلك تربط مصيرنا ، ومصير رسالتنا بالسلطان ؟

اسامـة : المنطق . هل من سبيل لفرض ارادتنا ، الا ان يساندها سيف كسيف صلاح الدين .. ؟ ..

الفتاة (٢) : (في تهكـم) اعرف رجـلا كسيحا ، لايفتا يعيب على الاخرين طريقتهم في المشى .

الشاب الرابع : انا لست كسيحا ، كما انكم لاتمشون . ولو اصررتم على خطتكم .. فاغلب الظن انكم ستبقون في مكانكم هذا .. حتى تنبت على ابدانكم الاعشاب .

الشاب الاول : ان له خيالا فذا ، ولكنه خيال مريض .. (الى الرابع).. لاشك انك تجد متعة في تعذيبنا .

الشاب الخامس : (صارخا) مهلا ايها الاخوة .. نحن لم نجتمع لنختلف .. ولن نسمح للعداوة ان تنشب بيننا ..

الفتاة (١) : وكذلك لن نسمح بان يكون للسفينة سوى ربان واحد.

الشاب الخامس : حين اخترنا ان نترك ديارنا ، ونسعى خلف اسامة ، فقد اخترنا ربان سفينتنا . كلمة منك تحسم الامر يااسامة . وستجدنا رهن اشارتك ، حتى ولو اشرت علينا بالموت ..

(صمت)

اسامة : انا ما جئت من اشبيلية في طلب الموت يا اخي ، فانا ، ايضا ، احب الحياة . وقد تركت في داري اما تحيا على امل ان تراني ثانية . وحبيبة تنسج احلام حياتها على موعد مني ، بان اعود اليها . ولا اشك في ان لكل منكم، في داره ، انسانا ما .. اوحبا ما ينتظره . لقد وحدت بيننا جميعا رغبة عارمة في حياة افضل ، وهي رغبة واعية وفعالة في نفس الوقت ، ولولا هذا ما اجتمعنا هنا .. في القدس . فان كان أي منا يرى ببصيرته طريقا اخر ، يقربنا من الهدف ، ويبعد عنا شبح الموت ، فخليق بنا ان ننصت له بكل مانملك من حواس .. فلنترك اخانا يتكلم .. (الى الشاب الرابع) .. بم تنصحنا ..؟..

(سكتة قصيرة)

الشاب الرابع : اليكم ما أراه صوابا .. علينا ان تتصافح الان ونفترق على الفـــور ...

(صـــدم الجميــع)

الفتاة (١) : نفترق .. ؟ ..

الشاب الرابع : نعم ، نفترق ، ولكن على موعد . يمضي كل منا الى داره، ومعه نسخة من باب الفتوح . ان كل الناس في بلدي، مثلنا ، يحبون الحياة ، ولكنهم قنعوا بنصيبهم الضئيل منها ، لانهم لايعرفون الطريق الى ماهـــو افضل .. فقد ضربت حولهم الاسوار حتى لايعرفوا . سنهديهم ، نحن ، الى الطريق ، لن نفعل اكثر من ان نتلو عليهم كتابنا ... وان خطر لاحدهم ســـؤال فيه جاوبناه . والناس في بلدي حكماء ، وان يكونوا اميين ، سنفجر فيهم ينابيع الحكمة ، فلربما اضافوا الى باب الفتوح شيئا يجعله اكثر عمقا ، واصلح للحياة عندئذ يصبح حلمنا ملكا لجماهير الناس ، فلن يمنع مسيرتها سادة البلاد كلهم ولو كونوا من انفسهم جيوشا ، ولن يعوقها انتظار اذن من حراس القصر السلطاني، بمقابلة السلطان،

(لحظـــة تأمـــل)

الفتاة (٢) : ولكنني احب صلاح الدين ..

الفتاة (١) : ارى في فكرته شيئا معقولا ..

اسامـــة : كثيرا ما راودتني هذه الفكرة .. ولكني لم املك الا ان ارفضهـــا ..

الفتاة (١) : اذن .. فنحن نرفضها ..

اسامـــة : (الى الشاب الرابع) انت لم تضع عنصـــر الزمن في

اعتبارك . متى تبدأ جماهير الناس مسيرتها في تقديرك..
لو التجأنا اليها .. ؟ .. ليس بامكانك ان تقطع برأي ،
ولكن المؤكد انها لن تبدأ قبل ان يمضى زمن يحسب
بالسنوات ..

الشاب الاول : وقد تنقضي اعمارنا قبل ان نراها تتحرك ..

الشاب الرابع : ولكنها ستتحرك حتما .. يوما ما ..

اسامة : يوما ما ؟؟ .. هو اذن يوم مجهول في المستقبل .. قد
يأتي بعد خمس سنوات ، او عشر سنوات .. وربما
بعد قرن من الزمان . ارأيت .. ؟ .. لعل الزمن لايعني
شيئا بالنسبةلك ، اما بالنسبة لي ، فهو يعني كل شيء..
ان كل يوم يمر من عمر الاندلس ، يقربها من الخاتمة
الكئيبة ، فالارض تهتز من تحت بلادي بعنف .. وان
لم نعجل بحل ، فاخشى ان اعـود اليها فلا اجد شبرا
باقيا منها اضع قدمي عليه . انني ارفض الرحيل عن
القدس .. ولترحلوا انتم ان شئتم .. خـذوا معكم
كتابي ، وابدأوا رحلتكم مع الزمن . اما انا .. فقد
اخترت طريقي ، ولن اعدل عنه .. فان لم يكن باقيا لي
من احتمال النجاح سوى جزء من الف ، فلسوف ابقى
من اجله ..

الشاب الخامس : لنحسم الامر .. من منا سـيبقى مع اسـامة .. ومن
سيرحل .. ؟ ..

(لحظة تأمل)

الشاب الاول : انا باق مع اسامة ..

الفتاة (١) : وانا باقيـة ايضـا ..

(وينضمان الى اسـامة)

الشاب الثاني : ان لم نعجل بفرض نظامنا ، ضاعت انتصاراتنا كلها ..
انا ايضا باق .

(وينضم الى اسامة)

الشاب الثالث : ليس في داري مايغريني بالرحيل ..

(وينضم الى اسامة)

الفتاة (٢) : (في تردد) ان صلاح الدين هـو الامل .. غير ان له قادة غلاظ القلوب .. (وبعد سكتة قصيرة مع احساس ببرودة الجو) اشعر بالبرد (وتتجه نحو الفتاة(١)...) الفجر بارد في هذه المدينة .. (وتجلس ملتصقة بالفتاة(١) تلتمس الدفء .. ويمضي الشاب الخامس في صمت فينضم الى اسـامة .. ويبقى الشاب الرابع وحيدا .. يتردد برهة .. ثم يتخذ له مجلسا في مكان منعزل..)

(ويظهر عماد الدين الكاتب ، من اليمين ، يسير ذاهلا يؤلف ابياتا في قصيدة جديدة ، فلا يبدو عليه انه تنبه الى وجـود المجموعة) .

عماد الدين : رأيت صلاح الدين .. افضل من غدا .. (سكتة) .. رأيت صلاح الدين افضـل من غدا .. واشـرف من اضحى .. (يفكر) .. واعظم .. (يفكر ثانية) واشرف من اضحى .. واكرم من امسى (ويعيد البيت برضا واستمتاع) .. رأيت صلاح الدين أفضل من غدا .. واشرف من اضحى واكرم من امسى .. (ثم يضيف).. وقيل لنا .. في الارض سـبعة ابحر .. (يفكّر) . ولسنا نرى الا اصابعه الخمسا ... (وهو منتش بهذه النتيجـة يردد البيتين ثانية) .رأيت صلاح الدين .. (ويخرج من اليسار ويتباعد صوته) ..

ابو الفضل : (نسمع صوته مع صوت عماد الدين قبل ان نراه) مائة وسبعة وثمانون مائة وثمانية وثمانون •• مائة وتسعة وثمانون (يدخل من يسار المسرح •• متجها الى السلم الحجري •• وهو يعيد خطواته في ضعف وتهالك ويستلفت دخوله انتباه المجموعة) ••

مائة وتسعون •• مائة وواحد وتسعون •• (يتوقف ريثما يلتقط انفاسه) مائة واثنان وتسعون ••

اسامة : (ينهض ليستقبله) عم صباحا ياجدي ••

ابو الفضل : (منهمكا في العد) مائة واربعة وتسعون •• (المجموعة تفسح لـه طريقا على السلم فيصعد الدرجات وهو يتابع العد) •• مائة وخمسة وتسعون •••• الخ •• (يتوقف عن السير) ، (وقد تعلقت عيناه بالبيت ذي الشرفة •• فتتعلق اعين الجميع بالبيت) ••

ابو الفضل : (هاتفا فجأة) هذا البيت بيتي •• (سكتة قصيرة) •• هذا البيت بيتي يا اسامة •• لن تضللني هذه الشرفة •• ولا هـذه الالوان • ان المـائة خطوة • التي اعرفها ، قادتني اليه باب المسجد الاقصى خلفي •• وانا امضى قدما بغير انحراف •• وأعبر الساحة فأصل اليه • وذا هو السلم نفسه • كنت اندفع جاريا من باب بيتنا •• فأقفز درجاته •• ويتلقني زحام السوق • كان في الساحة سوق • وهنا بجانب السلم كان يوجد بائع حلوى •• كثيرا ما اطعمني مـن حلواه • لا اذكر الآن اسمه •• ولكني اذكر انه ذبح مع من ذبحوا في الساحة • كنت ملتصقا بباب بيتنا هذا ارقب المذبحة •• واشهد النيران المتصاعدة من نوافـذ المسجد ، هناك ، وانا ارتجف • واخذت بصراخ المدينة فرحت اصرخ ، واندفعت فجأة تجاه المسجد • لا ادري لماذا اندفعت اليه • ربما ظننت

ان بمقدوري ان انجيه •• ومـن فيـه • وجرت أمي ورائي لتمسكني • رأيت غولا على فرس اسود يندفع تجاه امي شاهرا سيفه •• صاحت امي : اهـرب •• اهرب •• وتلقت السيف في صدرها • سقطت امي فوق هـذه الاحجار •• (يشير الى السلم) •• لم اتوقف لانقذها •• فقـد كنت صغيرا يا اسامـة •• وكنت مذعـورا ••

اسامـة : (في محاولة لان يرده عن ذكرياته) •• ألم تنم الليلة ياجدي ؟

ابو الفضل : لا •• لن انام الا بداخله بيتي • (يخطو نحو البيت)•• لماذا اغلقت ابوابه •• (يدفع الباب ليفتحه) •• الم يرحلوا عنه •• ؟

اسامـة : (يمسك به مهدئا) أنصح بالا تتعجل أمر البيت ••

ابو الفضل : انت تدهشني •• لماذا •• ؟ ••

اسامـة : لان به سكانا ••

ابو الفضل : من الفرنج •• ؟ ••

اسامـة : لا اعلم •• ولكن الاضواء كانت ترى من خلال نوافذه في الليل ••

ابو الفضل : (صارخا) انا لم آذن لأحد بان يسكن بيتي •• (يطرق الباب بعصاه طرقا عنيفا) •• انتم يامن بداخل هـذا البيت •• افتحوا الباب •• ؟ •• (يطرق ثانية) •• ان لم تفتحوا الباب فسأحطمه •• افتحوا الباب ••؟••

(تفتح نافذة البيت •• ويطل منه وجه سيمون ، وبه اثار نعاس) ••

سيمون : ما هذا الضجيج •• (تمعن النظر في ابي الفضل وهو

ما يزال يطرق الباب) •• اوف •• انه العجوز المخيف
•• انت ايها العجوز •• لقد ايقظتني من نومي ••

ابو الفضل : (دون ان يترك الباب) انا لم آذن لاحـد بان ينام في بيتي •• فلتتركوه على الفور ••

سيمون : (الى اسامة) يافتاى الوسيم •• هل يمكن ان تقنعـه بان يهدا حتى اكمل نومي •• انا لم انم كفايتي •• فقد ظل جنودكم يملاون الساحة حتى الفجر ••

ابو الفضل : انا لم انم على الاطلاق •• فقد اقسمت الا انام الا في بيتي •• هذا البيت •• فلتخلوه في الحال ••

سيمون : ايها الشاب •• الا تصنع بي هذا المعروف ••؟••

اسامـة : الم تسمعى ما يقول ••؟•• ان البيت بيته ••؟••

سيمون : انا لاشأن لي بهذا •• فهو من شئون امي ••

ابو الفضل : فلتنامي انت وامك في جهنم (يطرق الباب بعصاه) انتم يامن بداخل البيت ••؟••

(يطل تاجر النفائس بوجهه من وراء سيمون)

تاجر النفائس : ياله من صباح يبدأ بالصياح •• (يفرك عينيه) •• ماذا هناك ياسيمون ••؟••

سيمون : هذا الرجل يمنعني من النوم ••

تاجر النفائس : لماذا ••؟•• لماذا تمنعها من النوم يارجل ••؟•• نحن نعيش في عهد سلطان يكفل للناس حق النوم ••

ابو الفضل : اخرج من بيتي ايها الفأر السمين ••

تاجر النفائس : ان له لسانا حادا ••

(يفتح الباب وتظهر من ورائه سارة منزعجـة) ..

سارة : ماذا حدث ..؟.. (الى ابي الفضل) .. ماذا جرى ياسيدي .. ؟ .. (الى مجموعة الشباب) .. ماذا جرى يا احبائي ..؟..

ابو الفضل : اتركي بيتي ايتها الافرنجية الملعونة .. ؟ ..

سارة : انا لست افرنجية ياسيدي .. وانما انا عربية .. من مكة نفسها (مستدركة) ولا تصدقوا هذه البنت .. اذا قالت لكم انها افرنجية .. فهي لاتعني ما تقول ..

تاجر النفائس : ان السيدة يهودية .. ولعلك تعلم ان السلطان منح يهود المدينة الامان ..

ابو الفضل : للسلطان ان يمنح من يشاء ما يشاء من عهود .. ولكن ليس للسلطان ان يمنح احدا بيتي ..

سارة : انه بيتي ياسيدي (الى المجموعة) صدقوني يا احبائي .. ان البيت بيتي ..

ابو الفضل : (رافعا عصاه) تقولين بيتك يا امـرأة .. (ترتد سارة مذعورة) ..

سيمون : (صارخة في تاجر النفائس) سيضربها ..

تاجر النفائس : ليس هذا من خلق الاسلام .. (هاتفا في ابي الفضل) .. يارجل .. عليك ان تقيم الحجة على ماتدعيه ..

ابو الفضل : يحيا بالليل حياة عربيد .. وينطق في الصباح بلسان قاض .. عليك لعنة الله يا زير النساء .

التاجـر : ما اشد سلاطة لسانه ــ (الى المجموعة) ــ انتم ايهـا الفتية .. لم لا تمنعون الشر وانتم ترونه باعينكم .. من الشر ان نخرق عهدا قطعناه على انفسنا ..

ابو الفضل : (مهمهما) يا انجس من افتى ..

اسامة : الشر في ان نمكن انسانا من بيت ليس بيته •• وهـذا البيت ملك للشيخ ••

تاجر النفائس : هذا تحد سافر لن اسكت عليه • سأبلغ رجال السلطان بالامر •• سأبلغ السلطان •• لن يرضى السلطان بخرق مواثيقه •• (ويختفى) ••

سيمون : ليتني انام •• (وترفع رأسها على قاعدة النافذة في كسل ، بينما ثبتت عينيها بأسامة) ••

ابو الفضل : (الى اسامة في مرارة) يقال اننا انتصرنا •• ما اغربه من نصر ••

سارة : لنبحث الامر في هدوء يا احبائي •• لقد اشتريت هذا البيت منذ سنوات طويلة من الامير بيير •• ودفعت ثمنه ذهبا خالصا •• ومعي أوراق ممضاة من الامير نفسه ••

ابو الفضل : ليس في اسرتي امراء •• وليس بها احد بهذا الاسم •• فلتذهبي انت واوراقك •• وابنتك هذه الى جهنم ••

سيمون : اوف •• لماذا تصر على ان تقحمني في الموضوع •• انا لم اكن احب الامير بيير هذا •• واني لأفضل عليه امراءكم •• بل وافضل عليه هذا الفتى الوسيم •• (الى اسامة) •• هل انت أمير ••؟••

الفتاة (١) : (الى اسامة) •• ابتعد عنها يا اخي •• فانا لا احب نظرتها اليك ••

(تفتح باب الشرفة فيدلف اليها تاجر العبيد وبيده كيس التمر وتاجر الغلال •• وسيدان جديدان) ••

سارة : (الى المجموعة) تفضلوا داخل البيت لاطلعكم على الاوراق •• سنتناول الافطار معا ، واطلعكم عليها ••

الفتاة (١) : نحن لاناكل من مواد الغرباء .

مجموعة التجار : ما هذه الجمهرة .. ؟ ..

ابو الفضل : (يجيل عينيه في وجوه التجار) لقد امتلا بيتي بالفئران .. ولن يسلم من الطاعون ..

سارة : (الى التجار مستنجدة) ان هذا الرجل الطيب يريد ان يطردنا جميعا من الخان .. ينكر على ملكيتى للبيت.. ويهم ان يقتلني .. انا الوحيدة الضعيفة .. الاني على غير دينكم اظلم بينكم ..؟.. ما أشد تعاستي .. ما اكثر ما تلقين في حياتك ياسارة من هوان .. (وتجهش بالبكاء .. وتضحك سيمون ضحكة صغيرة) ..

ابو الفضل : ياللمرأة الثعلب ..

تاجـر : (الى التجار الاخرين) امرأة مسكينة ..

تاجـر اخر : صحيح انها يهودية .. ولكنها انسانة ..

تاجـر ثالث : تجيد طهو الديوك بعصير العنب ..

تاجـر العبيد : (الى ابي الفضل) ياشيخ .. لقد اوصانا نبي الله باهل الذمة خيرا .. انت لن تخالف وصايا رســول الله .. (ويبصق نــواة بلح الى الارض ثم يشير الى الشاب الرابع) ادعسها يافتى .. ارجوك ..

الشاب الرابع : وددت لودعست رأسك يا تاجر العبيد ..

مجموعة التجار : (بعضهم لبعض) ماذا جرى في الدنيا .. لقد ساءت اخلاق الاولاد ..

الفتاة (١) : (تنقل بصرها بين التجارة وسارة وابنتها) ليس غريبا ان تجتمع هذه الوجوه في مكان واحد .. اما من حجر سحري يقذفهم به الانسان ، فيفنيهم في غمضة عين ..

تاجـر العبيد : (مذعورا) ما افظعها من فتاة ..؟..

تاجـر الغلال : اهي حقا فتاة ••؟••

الفتاة (١) : (الى اسامة) لماذا تقف ، هكذا ، مكتوفي الايدي •• من حق الشيخ علينا • ان نسترد له البيت ••؟••

تاجـر العبيد : ما افظعها ••

اسامـة : (الى نفسه في مرارة) مشكلة جديدة ، لم تكن لتخطر لي ببال •• وليس لها حـل في كتابي •• كلما كشف الواقع عن نفسه ، بدأ اشد تلوثا وتعقيدا •• مما كنت اتخيلـه وانا احلـم ، هناك ، فـوق التـل الاخضر (الى المجموعة المعاصرة) ايها الاخوة •• ماذا تقترحون؟

الشاب الاول : (هامسا) تتدخل ••

الشاب الثاني : (مستطردا) هل نحن قادمون على انتزاع البيت ورده للشيخ ؟

سارة : (في فزع) بم يتهامسون ؟

تاجـر العبيد : انهم يتآمرون ••

ابو الفضل : (الى اسامة والمجموعة المعاصرة) ان بيتي من شأني وحدي ••فاهتموا انتم بشئونكم • لن يعوقكم بيتي عن مهمتكم •• وانا كفيل بكل هؤلاء •• (صارخا في سارة) •• استمعي إليّ يا امرأة •• (الى التجـار) •• استمعوا إليّ جميعا •• أنتم لا تعرفون أبا الفضل ••

ابو الفضل : قاس وعنيد في حقه •• ولن يمنعه من دخول هذا البيت سلطان في الارض •

مجموعة التجار : (الى بعضهم البعض) يتحدى السلطان •

ابو الفضل : (مستطردا) ومهما قطع السلطان على نفسه من عهود ومواثيق •• ابو الفضل سيقتحم البيت ••

سارة : (صارخة) سيقتحم البيت ••

ابو الفضل : انا ذاهب لآتي باسرتي .. وعليكم ان ترحلوا قبل ان تسقط اشعة الشمس على هذا السلم .. فلسوف اقتل كل ما القاه في البيت من فئران (الى التجار) اسمعتم .. كل الفئران .. (ويستدير لينصرف) .

(نحس بحركة كبيرة على يمين المسرح .. صوت نفير .. همهمة وقع اقدام وحوافر خيل .. فقد بدأ جند السلطان يزحفون الى الساحة) .

مجموعة التجار : عجوز احمق ..

سيمون : حمدا لله ، لقد سكت .. استطيع الان ان انام .. لحين ان تسقط اشعة الشمس على السلم .. (الى اسامة) .. لاتبتعد عن نافذتي يا اميري .. احب ان اراك ثانية حين افتحها ..

الشاب الخامس : كفى سخفا يا فتاة ..

(سيمون تضحك ضحكة خفيفة وتغلق النافذة) .

اسامة : (وهو ياخذ بيد ابي الفضل على السلم) اتحب ان اصحبك ياجدي ..؟..

ابو الفضل : بل ابق مع رفاقك ، ولا تشغل نفسك بي .. فانا اعرف طريقي .. (ويمضي فيخرج من اليسار) ..

تاجر العبيد : هيا ياسارة .. اعدى لنا الافطار .. فأرزاقنا تدعونا ..

سارة : سارة بائسة .. كانت مضطهدة بين الغزاة ، وظنت انها ستنصف بين اهلها العرب .. سارة لاتجد من ينصفها (وتبكي)

تاجر الغلال : كفى بكاء ياسارة .. فانت تمزقين قلبي ..

سارة : (من خلال دموعها) شكرا لك على رقتك وعطفك ياسيدي .. لن ابكي .. سأكف عن البكاء .. الرب

قادر على ان يحميني •• وهو لن يتخلى عني •• ساعد لكم الافطار •• ولا اعلم ما اذا كنت سأبقى لاعد لكم الغداء •• كنت انوي ان اجهز لكم مائدة تليق بالملوك •• لكن واأسفاه ••

تاجـر العبيد : ستعدين لنا الغداء والعشاء •• اليوم وغداً يا امرأة •• لم يحدث ما يمنعك ••

تاجـر : لقد دفعنا الثمن مقدما ••

تاجـر الغلال : عجلي ياسارة •• فتجار الغلال يتسابقون الى المدينة •• ولابد وان انشط قبل ان يحتلوا افضل المتاجر ••

سارة : حاضر ياسيدي •• انني قادمة •• الرب معي •• وهو لن يتخلى عني •• (وتدخل البيت) ••

مجموعة التجار : (في عذوبة) يهودية •• ولكنها طيبة •• (الى بعضهم البعض في ادب) •• تفضلوا •• (ثم يتسابقون الى باب الشرفة) ••

(بعبر طابور من الجند المسرح من اليسار الى اليمين •• وقد تبدت في حركتهم الرغبة في النوم •• تكاثر الجند في الساحة حتى احتلت كتلة منهم جانبا من يمين المسرح •• متجهين بوجوههم الى خارجه •• في انتظار قدوم السلطان •• وتلتئم المجموعة على المستوى الاعلى تتابع ما يجري في الساحة بقلق) •

الشاب الاول : بين لحظة واخرى يظهر السلطان ••

الشاب الثاني : لقد تزايد عدد الجند اليوم عن الامس ••

(زياد يدخل مهرولا من الطريق الامامي •• وهو يحمل كتابا كبيرا) ••

اسامـة : (في ارتياح) لقد جاء زياد ••

زيـاد : (لاهثا) عموا صباحا ..

المجموعـة : عم صباحا يا زياد ..

زيـاد : السلطان في طريقـة الى الساحـة .. (يناول اسامـة الكتاب) .. لقد انتهيت من نسخ الكتاب منذ قليل.. (ويلتقط انفاسه) .. لم اغمض عيني الليلة .. (اسامة يتصفح الكتاب وتتجمع اعين المجموعة على الصفحات).

زيـاد : ما اروع كتابك يا اسامة . لم يعوقني عنكم الا كلماتك. كنت اتوقف عند كل عبارة ، فأعيد قرائتها المرة ، بعد المرة ، وبي رغبة في ان احفظها قبل ان انسخها . ليت صلاح الدين يقرأه . انت لم تضع في كتابك شـريعة عظيمة للحكـم فقط .. وانما انشـأت به كذلك ادبا جديدا .. هو طفرة فوق كل ما عرفت من ادب ... كثيرا ما فكرت في كتابة من نوع كتابتك .. كتابـة تتوجه فيها بالكلمة الى كل الناس .. الخاصة منهـم والعامة ..

اسامـة : (يقاطعه منبها) زياد .. ليس هذا بوقت الحديث عن الادب .

زيـاد : لن اكف عن نسخ هذا الكتاب حتى احفظه ، ولسوف اصبح حجة فيه ..

اسامـة : ليكن .. اما الان ، فعليك ان تبتعد .. فمعظم الجند يعرفونك وقد يسيء اليك وجودك بيننا .. كما قـد تلفت الانظار الينا ..

زيـاد : سأترككم .. فقد يحتاج الشيخ إليّ ليدوّن شـيئا .. كن على حذر يا اسامة .. فسيف الدين متنبه الى احتمال تسللك الى المدينة .

المجموعـة : لاتخش شيئا .. فنحن معه ..

زيـاد : كونوا على حذر •• ليبارك الله خطاكم •

(يخرج مهرولا من الطريق الامامي) •

(يتعالى تهليل وتكبير الجند ، وتسمع صيحات متباعدة تهتف بحياة صلاح الدين) ••

— : ابقاك الله يا صلاح الدين ••

— : دمت يا ناصر الاسلام ••

— : النصر في ركابك يا ابا المظفر ••

الفتاة (٢) : (تحملق عبر الساحة في انبهار) انظروا اليه •• كم هو قوى ومهيب • ليس غريبا ان يحبه الجند بهذا الجنون •• انا ايضا احبه ••

اسامـة : لقـد تلاصقت كتل الجند مرة اخـرى ، ليحولوا بيننا وبينه ••

الفتاة (٢) : اناديه •• فلعله يلتفت الينا •• (وتنادي) •• صلاح الدين •• (ويضيع صوتها في ضجة الجند) ••

اسامـة : اذا نحن لم تتحرك اليوم •• فلن تتحرك ابدا • سأخترق الصفوف اليه الان •• فقـد يتيح لي هياج الجنـد ان امرق من بينهم • اما انتم ، فانتشروا في المدينة •• حتى لاتقضي علينا جميعا ضربة واحدة • اذا لم اعد اليكم ، فلا تكفوا عن المحاولة •• فلابد وان يوفق واحد منا في النهاية ••

(ويهم بالانطلاق) •

الشاب الرابع : (صارخا) اسامة •• لاتذهب •• ارجوك •• لاتذهب• خذ بنصيحتي ، ولا تركب رأسك • لن يجدينا هذا نفعا • لنحمل باب الفتوح الى جماهير الناس هذا أجدى •

اسامـة : لن نعود للنقاش • (ويهم بالانطلاق)••

الشاب الرابع : لاتذهب يا اسامة •• ارجوك ••

الفتاة (١) : (ممسكة با سامة) ابق أنت يا اسامة •• ونبدأ بواحد منا •• فسيف الدين ورجاله يعرفونك •• وهم يترقبون ظهورك •• ابدأ انا بالمحاولة •• فلن يقسو الجند على فتاة ••

الشاب الاول : حيلة رخيصة ، لاتقبلها ••

الشاب الخامس : نبدأ بواحد منا ••

اسامة : لن يذهب أحد غيري ••

الشاب الرابع : انتظروا جميعا •• انتم لن تعملوا بدوني •• ربما خالفتكم الرأي ، ولكنى مازلت معكم •• (وينتزع الكتاب من يد اسامة) سأذهب انا ••

الفتاة (٢) : اليس هذا غريبا •• ؟ ••

الفتاة (١) : منذ دقائق ، كنت ترفض الموت ••

الشاب الرابع : كنت ارفض الموت الذي لا معنى له •• لكن سفينتنا لن تمضي بغير ربانها • فلأن اذهب انا ، ليبقى اسامة •• فهذا يكفيني معنى •

اسامة : لكنني اتخذت قراري •• وانتهى الامر ••

الشاب الاول : انت لن تنفرد بابرام القرارات ، حتى وان كنت ربان السفينة •• نطرح الرأي للمناقشة ••

الشاب الرابع : ناقشوه فيما بينكم •• وداعا •• (ويخطو مبتعدا نحو يمين المسرح)

الشاب الخامس : بل الى لقاء عاجل ••

الفتاة (١) : (هاتفة في الشاب الرابع) اقتل الخوف من قلبك ، قبل ان تمضى •

الشاب الرابع : (وهو ماض في طريقة) ليس فيقلبي ذرة من خوف ..

المجموعة : الله معك ..

(ويشدون اسامة ليخرجوا من اليسار)

(الشاب الرابع ينتهز فرصة هياج الجند فيتسلل خلالهم بنعومة وانما في صعوبة .. ويختفي ..) ..

(وكان تاجر النفائس قد ظهر في شرفة الخان)

تاجر النفائس : ذا هو صلاح الدين .. الرجل الذي خلق لكي ينتصر.. من يفتح قلبه تفتح له ابواب الدنيا (ويخرج من ثيابه لؤلؤة كبيرة يقلبها امام عينيه في هيام ويتسلل تاجر العبيد خلفه فيتابع في صمت تأملاته) .. هدية صغيرة ترمز للحب .. قد تفتح لي قلبه .. (ثم محدثا صلاح الدين الذي يلتقي به في خياله) .. مولاي السلطان ، ياقاهر كل الاعادي .. يا عظيم .. ياقوي .. اعرف انك اعلى شأنا من ان تقبل هدية من رجل ضعيف مثلى .. ولكن من حق شعبك .. ياسلطان .. ان يبرهن على حبه لك .. وذا برهان متواضع على حبي.. لؤلؤة قد تدخل البهجة على قلب الاميرة الصغيرة .. (ثم يحدث نفسه في حيرة) .. انا لا اعلم ما اذا كان لصلاح الدين بنات ..

تاجر العبيد : (متدخلا) لاتشغل بالك بهذا الامر .. (فوجيء تاجر النفائس فدس اللؤلؤة في ثيابه في فزع) .

تاجر العبيد : (مستطردا) سيقبل السلطان هديتك المتواضعة .. حتى ولو لم يكن له بنات . فخلال ايام قليلة .. ستكون ملك يمينه جارية رائعة الحسن .. نادرة الفتنة .. هي ابهى فتيات اقريطش على الاطلاق .. وسيسعده ان

يهديها لؤلؤتك .. (ثم في خبث) .. هذا اذا لم يوءثر بها الاميرة سيبل .. صديقته الافرنجية الوفية .. زوجة امير انطاكية .. الم تسمع عنها ..؟..

(تقاطعهما حركة ذعر .. دبت بين الجند وضجة حادة قريبة .. نسمع خلالها هذه العبارات) ..

— : ماذا حدث .. ؟ ..

— : ماذا فعل .. ؟ ..

— : كان ينوى قتل السلطان ..

— : .. السلطان .. ؟ ..

— : لماذا .. ؟ ..

— : خائن .. دسيسة .. اقتلوه ..

(ويقتحم المسرح من اليمين عدد من الجند امسكوا بالشاب الرابع ومن خلفهم سيف‌الدين) ..

الشاب الرابع : (صارخا فيمن حوله) .. انا لم اكن انوى قتل السلطان .. انا لا احمل سلاحا .. الا تفهمون .. كيف اقتل بغير سلاح .. انا لست مجنونا لاقتل صلاح الدين .. ان كان لابد وان اقتل فلن اقتل صلاح الدين ..

سيف الدين : (مصدوما) فمن ستقتل غيره .. (الى الجند) .. اتركوه .. (فيتركه الجند .. ويجيل سيف‌الدين بصره فيه يتفحصه) .. (وتظهر سارة في الشرفة وقد جذبتها الضجة) ..

سارة : (الى التاجرين) ماذا هناك .. ؟ ..

تاجر العبيد : شاب هم بقتل السلطان .. (فتشهق سارة) .

سيف الدين : (الى الجند) عودوا الى اماكنكم .. وافتحوا اعينكم .. (ويشير الى اثنين منهم) انتظرا .. فقد احتاج

اليكما •• (ينصرف فيمـا عـدا الجنـديين اللذين استبقيا) ••

سيف الدين : (الى الشاب الرابع) هم •• تقول انك لم تسع لقتل السلطان ••

الشاب الرابع : ولماذا اقتله •• ؟ ••

سيف الدين : انا من يسأل •• لا انت • لماذا اندفعت نحوه ولم تتوقف حين امرتك •• ؟ ••

الشاب الرابع : كنت اريد ان اراه من قرب ••

سيف الدين : لماذا •• ؟ ••

الشاب الرابع : (في حنق) لماذا •• لماذا ان من يحب انسانا ، يطمع في ان يراه من قرب ••

سيف الدين : (في تأمـل) هـم •• (سكتة قصيرة) •• فتشاه •• الجنديان يفتشان ثياب الشاب الرابع)

سارة : (الى التاجرين) لقد رأيت هذا الشاب من قبل •• الم يكن برفقة العجوز •• ؟ ••

التاجران : امرأة ذكية •• كان بالفعل معه ••

سارة : سأذهب فاشكوهم الى هذا القائد •• فقد ينصفني •• ارايتم ان ربي لم يخذلني •• (وتدخل مندفعة ، ويلحق بها التاجران)

جندي (١) : ليس معه سوى هذا الكتاب ••

سيف الدين : من اين انت •• ؟ ••

الشاب الرابع : من دمشق ••

سيف الدين : هم •• وماذا في هذا الكتاب •• ؟ ••

الشاب الرابع : مواضيع قد لاتعجبك ••

سيف الدين : هل تعرف ما يعجبني .. وما لا يعجبني .. ؟ ..

الشاب الرابع : من يراك يدرك من انت .

سيف الدين : ماذا تعني .. ؟ .. (ثم في تشكك) .. ما اسمك ايها الشاب ؟

الشاب الرابع : (بعد برهة قصيرة ..) اسامة بن يعقوب ..

(ذهل سيف الدين .. واخذ يحملق في وجه الشاب متسعنا .. وتنطلق سارة من البيت لتقف خلف سيف الدين في قلق .. ويظهر بعدها التاجران) ..

سيف الدين : هذا مستحيل .. فانا اعرف اسامة ابن يعقوب (صارخا) انت لن تخدعني ايها الشاب .. ما اسمك .. ؟ ..

الشاب الرابع : (في هدوء) اسامة بن يعقوب ..

سيف الدين : (في هياج) هذا كذب .. (ثم يحاول ان يضبط اعصابه وتمر لحظة صمت) ..

سارة : (الى سيف الدين في وجل) سيدي .. سيدي القائد .. ؟ ..

سيف الدين : (غير متنبه الى سارة) أفي هذا الكتاب شريعة للحكم .. ؟ ..

الشاب الرابع : نعم ..

سيف الدين : (صارخا) ولكنك لست اسامة بن يعقوب ..

التاجران : (كل للاخر في دهشة) اسامة بن يعقوب ..

تاجر العبيد : .. المارق ..

سارة : (الى سيف الدين) سيدي القائد ..

سيف الدين : (صارخا) ماذا تريدين يا امرأة ..

سارة : (مذعورة) رحمة بي يا سيدي •• فانا امرأة وحيدة وضعيفة •• وقد جئتك شاكية من هذا الشاب ••

سيف الدين : هذا الشاب •• ؟ ••

سارة : نعم ياسيدي •• هذا الشاب ، لقـد جاءني منذ قليل ، مع جماعـة على رأسها رجل عجـوز •• وأرادوا ان يقتحموا بيتي •• وهددوني بالقتل ••

سيف الدين : بالقتل •• ؟ ••

سارة : بالقتل ياسيدي •• لقـد تعطف علينا السلطان فأعطانا الامان •• فأنا يهودية ياسيدي •• ولكنني عربية •• من مكة نفسها •• وقد نبهتهم الى ذلك •• ولكنهم لم يكترثوا •• واصروا على ان يسلبوني بيتي ••

سيف الدين : (الى الشاب) تتحدى السلطان ••

سارة : نعم ياسيدي •• ولقد ذهب العجوز يستدعي قبيلتـه ليستعين بها فيما عزم عليه من انتزاع البيت ••

الشاب : انا لاعلاقة لى بالعجوز •• فقد جمعتني واياه صدفـة هنا ، وكان يطالبها بأن ترد اليه بيته ••

تاجـر العبيد : المرأة لم تكذب ••

تاجر النفائس : نحن شهودها ••

تاجر العبيد : الحق احق بأن يتبع ••

تاجر النفائس : حاولت بنفسي ان انهى الامر •• واقر الحق لصاحبته فالهبتني ألسنة كالخناجر ••

سيف الدين : وتهينون كرام الناس •• (هاتفا في الجنديين) •• خذاه الى سجن القلعة •• حتى افرغ له ••

الشاب : (الى التاجرين •• وهو يمضى بين الجنديين) ستحل ساعتكم أيتها القردة ••

سيف الدين : (هاتفا فجـأة) انتظروا •• (ثم يندفـع الى الشاب فيمسك وجهه يقلبه امام عينيه ، ثم يصرخ في جنون) انت لست اسامة بن يعقوب • من انت ••؟•• تكلم ••

الشاب الرابع : اسامة بن يعقوب ••

سيف الدين : خذاه الى السجن •• واحرقا هذا الكتاب فلا تدعا كلمة واحدة منه تفلت من النار ••

الجنديان : سمعـا وطاعـة •• (ويمضيان بالشاب •• فيصعدان السلم ، ويخرجان به من الطريق الامامي) •

سارة : وماذا افعل ياسيدي لاحمي نفسي وبيتي وابنتي •• انا لا استطيع وحدي ان انفذ اوامر السلطان ••

سيف الدين : سأجعل على بابك جندا يحمونك ••

سارة : شكرا لك ياسيدي •• ليعزك الرب •• وليمد في عمر السلطان •••

(وتعود مهرولة الى بيتها)

تاجر النفائس : وجود امثالك يا اخانا في المدينة •• يشيـع العـدل ، والاطمئنان ، وهدوء البال •• (ويشاركه الدعاء تاجـر العبيد) •• ندعو الله ان يكثر من امثالك في البلاد ••

سيف الدين : (في انشغال حقيقي) انني اعرف وجه اسامة بن يعقوب •• مثلما اعرف وجه جاريتي •• ولا يمكن يختلط على انه ليس هو ••

تاجر العبيد : ان لم يكن هو ••فلماذا ينسب نفسه الى هذا الاسم••؟!

سيف الدين : هذا ما يحيرني ••

تاجر النفائس : قد تتشابه الاسماء ••

سيف الدين : ولكن الكتاب هو نفس الكتاب ••

تاجر العبيد : ان لم يكن هو اسامة بن يعقـوب .. فالكتاب كتاب اسامة بن يعقوب .. (ويشاركه العبارة الاخيرة تاجر النفائس) وامرك بحرق الكتاب هو عين العقل .. ولب الحكمة .. (وينسحب الضوء من المسرح) ..

* * * *

(يسقط الضوء على الساحة .. فنفاجأ بالصخب الذي يصاحب ظهور السلطان عادة .. جماعة ابي الفضل .. وقد غاب عنها عمر وحسان عبدالرحمن تجمعت على الارض بجانب السلم وجلس ابو الفضل معها شـبه نائم .. معتمدا برأسـه على عصاه ..بدا الارهـاق والاكتئاب على الجميع . عائشة تدور بعينها على مداخل الساحة القريبة .. في توتر وانشغال . امام باب الخان وقف جندي مسلح) ..

عائشة : (تعود الى الجماعة في يأس) .. لم يظهر احد من رجالنا بعد .. ترى ما الذي عوقهم .. (الرؤوس تظل على اطراقها) .. ياربي لاتفجعنا في احبائنا .. لقـد كان التسعة خيرة فتيان البلـدة .. (وتجلس بجوار ابي الفضل ، وتعلو ضحكات عـدد من الرجال وراء باب الخان . ويفتح الباب فتخرج منه مجموعة مـن السادة المنتفخين .. وما زالوا يضحكون .. وهم بين اربعـة وستة رجال حلوا اخيرا بالمدينة) .

السيد الاول : (وقد انهكه الضحك) ما احلى طرفك يارجل .. طرفة اخرى كهذه خليقة بان تقتلني ..

السيد الثاني : (وقد وقـع بصره على ابي الفضل وجماعـة) مازال العجوز الثرثار معسكرا بنسوته امام الخان .

السيد الثالث : رجل غريب ، يرفض ان يمتثل لاوامر السلطان .. مع فقره وضعفه .

السيد الاول : لقد هدأ أخيرا .. وأسلم أمره لله ..

السيد الثاني : لم يهدأ الا بعد ان تورمت حنجرته .. وسدت لطول ما صرخ ..

السيد الثالث : لقد سد الله حنجرته لطفا بنا وتعطفا (يضحكون).

السيد الاول : الحقيقة انه لولا تدخل الشرطـة .. لصارت الاقامة في في هذا الخان لاتطاق بسببه ..

السيد الثاني : لولا وجود الشرطة لكانت الحياة في الدنيا لاتطاق ..

السيد الثالث : من نعم الله علينا ان خلق لنا الشرطة .

(ويخرجـون مـن يسار المسرح .. بينما يدخل سيف الدين من اليمين في خطى متعجلة) ..

عائشة : (في خوف وقد لمحت سيف الدين) لقد عاد الرجل .. ولن يتركنا في سلام ..

سيف الدين : (بعد ان تخطى جماعة ابي الفضل توقف فجأة والتفت اليهم في غضب) اما زلتم هنا .. الم امركم بأن تخلوا هذا المكان ؟

ابو الفضل : (في اعياء شديد) ابتعد عنا يارجل .. دعنا وشأننا ..

عائشة : لقد امرتنا بالصمت .. فصمتنا . اسأل اليهودية ان كانت قد سمعت لنا صوتا ..؟..

سيف الدين : وامرتكم ايضا .. بأن تبتعدوا عن الساحة قبل يـوم الجمعة .. وغداً .. هو الجمعة ..

عائشة : بالله لا تثقل علينا بالاوامر .. فنحن لم نحتل بيتا .. بل شغلنا ذراعا من ارض الطريق ..

سيف الدين : لكم ذراعين خارج الساحة •• فالساحة تعد لحفـــل السلطان ••

عائشة : لو دفن من استشهد في الجهاد من اسرتنا ، حيث كان يحق لهم ان يدفنوا ، لغطت قبورهم هذه الساحة ••

سيف الدين : حجة نسمعها عشرات المرات في كل مدينة نفتحها • ان للشهداء الجنة •• اما الارض فللسلطان••انني انذركم••

عائشة : (مقاطعة) لن يضيرنا ان ننتقل الى مكان اخر ياجدي ••

ابو الفضل : (بضعف) لن نبتعد عن البيت ياعائشة ••

سيف الدين : (بحدة) سوف تدعسكم خيل الجند اذا بقيتم •• ولن امنعهـا ••

عائشة : (الى ابي الفضل) سنذهب الى مكان لاتسلكه خيل الجند ، ونبقى فيه حتى ينتهي السلطان من افراحه •• ويفرغ لقضايا الناس •••• (الى سيف، الدين) •• لن يضايقك يامولاي ان نبقى هنا ســاعة اخرى من النهار •• حتى يعود رجالنا •• فلقد ذهب رجالنا ليسألوا في معسكرات الجند عن تسعة من شبابنا •• خرجوا ليجاهدوا معكم •• ولم نسمع عنهم خبرا ••

(تعلو ضجة على يسار المسرح ، فتستلفت انظار الجميع •• ويقتحم الجنديان أ ، ب المسرح وقد القيا القبض على الشاب الخامســ •• وبيده نســخة من الكتاب)••

سيف الدين : (في ذهول) ما اغرب ما يحدث في القدس !! • لقد حلت الفوضى بالدنيا ، منذ حللنا في هذه المدينة ••

(وما ان وقع بصر الجنديان على سيف الدين حتى اتجها اليه بالشاب مباشرة) ••

جندي (ا) : هذا الشاب ياسيدنا ..

سيف الدين : (يقاطعه ثائرا) اعرف القصة .. (ثـم في هدوء) .. شاب آخر ، يحمل نفس الاسم ، وبيده نفس الكتاب ، يعترض طريق السلطان ..

جندي (ب) : لقد امسكنا به قبل ان يخطو خطوته الاخيرة اليه ..

سيف الدين : (منزعجا) وهل رآه السلطان .. ؟ ..

جندي (ا) : لا ندري .. ولكن اصحاب السلطان رأوه ، فسدوا عليه الطريق ، ووضعنا ايدينا عليه ..

سيف الدين : (محدثا نفسه) .. انا لا افهم شيئا من هذا كله .. هل اعـد الاندلسـى جيشا .. ؟ .. ام ان الجن تخطت الحـدود ، وراحت تلعب هـذه اللعبة المقيتة ، لتنغص علينا نصرنا .. (ثم في حنق وهو يتأمل وجه الشاب) .. اذا سألته نفس الاسئلة .. فسيجيب نفس الاجابات (صارخا) أرني هـذا .. (ويخطف الكتاب مـن يد الشاب بغل فيفتحه حيثما اتفق) ..

صوت المجموعة المعاصرة : (مع حركة عيني سيف‌الدين في الكتاب) .. للامـة مجلس حكماء يرعى بيت المال .. ويراقب افعال الحكم ورجاله ..

سيف الدين : (يغلق الكتاب بعصبية ثم يصرخ) .. ما اسـمك ايها الوغد .. ؟ .. (وقبل ان يفتح الشاب فمه) اعـرف اجابتك .. فلا تنطق بهذا الاسم ..

الشاب الخامس : (في هدوء) اسامة بن يعقوب ..

سيف الدين : (في جنون قبل ان يتم الشاب الاسم) .. اللعنة على هـذا الاسم .. اللعنة على الاندلس .. (مناديا) .. ياجند اشبيلية .. (يدخل جند اشبيلية من اليمين) .. اهو ذا من تبحثون عنه .. ؟ ..

(جند اشبيلية يحملقون في وجه الشاب في جمود ، ثم يتبادلون النظر) ..

سيف الدين : لم لا تنطقون .. ؟ !

جندي اشبيلي : (الى الشاب) ما اسمك ايها الفتى .. ؟ ..

سيف الدين : كلنا نعرف اسمه ..

جندي اشبيلي : (الى الشاب) من اين انت .. ؟ ..

الشاب : من القاهرة ..

الاشبيليون : (في هدوء الى سيف الدين) .. هـو ليس اسامتنا ..

سيف الدين : هو ايضا ليس اسامتكم ..

الاشبيليون : اسامتنا من اشبيلية ..

سيف الدين : ما اغباكم ياجند اشبيلية .. يبدو ان المقام راق لكم هنا حيث تنعمون بغير مقابل . لترحلوا على الفور ، فـلا مكان في هذه المدينة للحمقى . فتشوا عن اسامتكم في اشبيليتكم .. فتشوا عنه في أي بلد غير القـدس .. فسأقطع عنكم الجراية منذ اليوم ..

(صمت ـ الجنود الاشبيليون يتبادلون النظر مـع شعور بالاهانة ثم يخرجون في هدوء رافعين رؤوسهم في كبرياء) ..

سيف الدين : (الى الشاب) اين رئيسكم .. ؟ .. (سكتة ..) .. كم عددكم .. ؟ .. (سكتة ..) هل دخل الاندلسي القدس .. ؟ .. (تتلاحق اسئلة) .. كيف تكاثر هذا الكتاب في ايديكم ؟ .. اين تقيمـون .. ؟ .. كيف اجتمعتـم هنـا .. ؟ .. (صمت) .. انت لاتجيب كالاخرين .. ولكن لدينا من ادوات التعذيب ما يرغمكم على الاجابة ..

الشاب الخامس : لن نلقى عذابا من ادواتكم ، اكثر مما نلقى من الحياة نفسها ، في هذه الارض ..

سيف الدين : لقد غرربكم الاندلسي .. واغرقكم في وهم البطولة . فانتم جميعا تسعون معه لان تصيروا ابطالا ينسج الاغبياء من العامة حولكم وحول كتابكم الملاحم . ولكن خاب رجاءوكم . فلسوف احرمكم حتى من هذا الوهم . سيحرق كتابكم في صمت .. حيث تحرق القمامة .. النسخة تلو النسخة . ولن تحاكموا من اجله . بل ستحاكمون من اجل جريمة اخرى ، تستنزل عليكم بصاق الناس جميعا .. السادة منهم والعامة .جريمتكم .. تحدي السلطان الناصر .. المنتصر .. وخرق اوامره .. والاستهانة بما قطعه على نفسه من عهود ..

الشاب الخامس : يستوى ان نحاكم من اجل جريمة او اخرى .. السجن هو السجن .. والموت هو الموت . بل اننا ليسعدنا ان ان نقتل .. فحيثما تسقط نقطة دم من واحد منا ، ينبت عشرة مثلنا .. ولن تنتهوا منا ابدا ..

سيف الدين : افسدتكم احلام ابن يعقوب ، واسقيتم غروره . ان قوة قضت على جيوش الفرنج مجتمعة لقادرة على ان تسحق عشرات من المارقين .. (يدفع بالكتاب الى الجندي أ) خذ هذا .. فاحرقه مع ما تحرقون من قاذورات القلعة.. (ثم الى الشاب) . ولتجبني ايها الشاب المخدوع .. الم تكن مع هذا العجوز والاخرين يوم غزوهم لخان اليهودية .. ؟ .. انني اتيح لك ان تدفع عن نفسك هذه التهمة .. (صارخا) .. فهل كنت معهم .. ام لا .. ؟ .. (الشاب صامت) .. انت لا تجيب .. (يستدير الى ابي الفضل) .. اجب انت ياعجوز النحس .. الم يكن معك يوم ان هاجمت الخان ، وتحديت

السلطان . ؟ ! (ابو الفضل يشيح بوجهه) .. لقد تعرفت اليهودية على كل من القينا القبض عليهم .. فهل كان هذا الشاب بينهم .. ؟ اجب .. ماعلاقتهم بك .. ؟ .. لماذا التفوا حولك .. ؟ ..كم اسامة بن يعقوب في المدينة .. ؟ ..

ابو الفضل : (في هدوء) تريد ان تعرف عددهم .. ؟ ..

سيف الدين : أجب ..

ابو الفضل : الاف .. آلاف يقاتلون .. والاف يحملون الكتب ..

سيف الدين : اهي مؤامرة ضد السلطان .. ؟ .. هل انت رأس الحية .. ؟ .. لحساب من تعمل ايها العجوز .. لحساب الفرنجة .. ام لحساب الروم .. ؟ .. أجب ..

عائشة : رفقا بالرجل يامولانا .. ليس مجدا لك ان تعذب انسانا في ضعفه .. يكفيه ما أصابه من خيبة امل ، بضياع حلم عمره كله . فلا تجعلوا من ايامه الباقية كابوسا متصلا . لن ينجيكم من ابن يعقوب ان تحرقوا قلب هذا الرجل.. فدعوه لاحزانه . وان لم يكن بوسعكم ان تردوا اليه بيته .. فهيئوا له ان يموت في ظل هذا البيت في هدوء على الاقل .

سيف الدين : لن يشفع له عمره وعجزه ، اذا تجمعت لدى خيوط الفتنة ، وأيقنت انه رأس الحية ..

(هاتفا في الجندي الواقف بباب الخان) ايها الجندي .. ناد اليهودية سارة ..

(الجندي يطرق باب الخان) ..

(يدخل من اليمين تاجر العبيد وتاجر الغلال وتاجر النفائس ويفاجأون بالموقف) .

تاجر العبيد : شيطان اخر .. اسمه اسامة بن يعقوب ..

تاجر النفائس : وكتاب اخر .. عنوانه باب الفتوح ..

تاجر الغلال : نحن هالكون في هذه المدينة لا محالة ..

سيف الدين : اين المرأة ياجندي .. ؟ ..

(الجندي يطرق الباب ثانية) ..

التجار الثلاثة : (الى سيف الدين) يا اخانا .. الشر استفحل في المدينة..

سيف الدين : لا تخافوا .. فتلك فقاقيع ماتلبث ان تتطاير ..

التجار الثلاثة : نخشى ان يحملوا بعد الكتب سيوفا ..

سيف الدين : ليتهم يحملون السيوف ، ويبرزون امامي .. فلسوف تكون تلك نهايتهم الاكيدة .. (مستعجلا الجندي) ياجندي .. ..

(ولكن الباب يفتح وتظهر سيمون)

سيمون : لماذا طرقت الباب ياعزيزي .. ؟ .. اليس بوسعي ان انعم بساعة هدوء في هذا البيت .. منذ دخلتم القدس ، وانا ...

الجندي : (مقاطعا) اين امك .. ؟ ..

سيمون : امي ليست بالبيت ..

سيف الدين : اقتربي يافتاة .

سيمون : هل تريدونني .. أم تريدون امي .. ؟ ..

سيف الدين : (صارخا) تقدمي ..

سيمون : طيب .. طيب .. لاتصرخ .. (وتتقدم) .. اخ يا ربي .. لماذا ابقى في هذا البيت الخانق .. وقصور

الامراء كثيرة •• (الى سيف‌الدين) اليس لك قصر يطل على نهر النيل ياسيدي •• ؟ ••

سيف الدين : امسكي لسانك •• وانظري الى هذا الشاب ••

سيمون : لماذا انظر اليه •• ؟ ••

مجموعة التجار : اطيعي القائد ياسيمون ••

سيمون : لماذا انظر اليه •• ؟ ••

تاجر النفائس : نحن لا نعرف لماذا •• ولكن الطاعة واجبة ••

سيمون : (في ضيق) اخ ياربي •• (وتنظر في وجه الشاب) ••

سيف الدين : تأمليه جيدا ••

(سيمون وقد تعرفت على الشاب يبدو عليها الارتياح لروءياه)

سيف الدين : لقد رأيت من كانوا بصحبة هذا العجوز يوم ان اعتدى عليكم ، افلم يكن هذا الشاب بينهم •• ؟ ••

(صمت •• التجار يتفرسون في وجه الشاب من بعيد •• ويتساءلون فيما بينهم همسا عما اذا كانوا قد رأوه) ••

سيمون : (هامسة الى الشاب) اين صديقكم الوسيم ••؟••

تاجر العبيد : بماذا تهمسين اليه ياسيمون ••؟••

سيمون : (تستأنف همسها الى الشاب) اذا وعدتني بأن تأخذني اليه ، عملت على نجاتك انت والعجوز •• (ويظل الشاب في جموده) ••

سيف الدين : (ثائرا) ارفعي صوتك يا فتاة ••

(برهة صمت)

سيمون : كان معهم ياسيدي .. وكان اكثرهم حدة وعدوانا ..

تاجر الغلال : اليهودية الصغيرة على حق..فلقد تذكرت الان خلقته..

سيف الدين : (الى الشاب) .. تلك جريمتك ثابتـة ايها المتمرد .. عدوان على الخلق .. تطاول على السلطان .. وتمرد على اوامره وتعهداته .. (صارخا) (في الجندي أ) خذ هذا المتمرد الى سجن القلعة .. والق بكتابه في النار .. (الى الجندي ب) اما انت فبلغ اوامري .. بأن تغلق ابواب المدينة ، فلا يخرج منها شاب قبل ان يعـرض علي .. وان تفتش كل البيوت بيتا بيتا .. لا تدعوا جحرا دون ان تنفذوا اليه .. راقبوا المساجد والكنائس .. واقبضوا على كل من يحمل كتابا في الطريق ، وان يكن القرآن نفسه ، فلربما دست فيه كلماتهم المسمومة.

تاجر العبيد : (في خبث) بهذا الحزم وحده تقطع رأس الفتنة ..

الشاب الخامس : (الى سيف الدين قبل ان يمضي مع الجندي) لاتنس ان تفتش بيتك ايضا .. فانا لا اشك في ان احدا من اولادك حاز نسخة من الكتاب ..

سيف الدين : (الى الجندي أ) امضِ بـه الى السـجن قبل ان انزع رأسه ..

(يخرج الجندي أ بالشاب .. كما يخرج الجندي ب مهرولا) ..

سيف الدين : (الى الجنـدي الواقف بباب الخان) ايها الجندي .. (يأتيه الجندي مسرعا) .. قد هذا العجوز وجماعته الى احدى خرائب المدينة ، فالق بهم فيها ، وقف عليهم حارسا ، حتى انظر في امرهم ..

عائشة : (في جزع) نحن ننتظر رجالنا ..

تاجر النفائس : اطيعي يا ابنتي الاوامر •• وكفى عنادا ••

سيف الدين : (الى الجندي) من يخرج منهم عن طوعك ، اضرب عنقه •• هذا امر مني •• (ثم يخرج من اليسار في اعتداد)••

مجموعة التجار : صحبتك السلامة يا اخانا ••

الجندي : (الى جماعة ابي الفضل) •• انهضوا ••

تاجر الغلال : لقد عاملهم الرجل بحلم وكياسة ••

سيمون : لعلي انعم بشيء من الهدوء الان •• (الى التجار) •• اوصيكم خيرا بأميري الوسيم ياسادة •• لاتدعوا القائد يقسو عليه ••

(وتمضي الى الخان)

الجندي : (الى جماعة ابو الفضل) ماذا تنتظرون ••؟••

عائشة : لنذهب معه ياجـدي • سيان ان نكون هنا او هناك ، فالعراء واحد • ولن يقتلنا انتظار يوم اخر •• أو يومين، فلقد تعودنا الصبر • ولنقدر اننا لم ننتصر بعـد ، وان القدس لم تعد الينا • ولن يطول انتظارنا على اية حال•• فسيعود رجالنا حتما ومعهم البشارة ، هشام وبقيـة محاربينا التسعة احياء •• وقد ازدادوا فتوة وصلابة • ولن يعجزوا عن الوصول الينا حيثما وضعنا •• فـآن لديهم مـن الذكاء ما يجعلهـم يفهمون ان مكاننا بين الخرائب • أما ضيفنا الذي احببناه •• فارجـو الا يهتدى الينا ابـدا •• حتى يعـود سالما الى بثينة التي تنتظره • لهفي عليك يابثينة •• فانا اعـرف لوعـة الانتظار ••

ابو الفضل : (مع شعور بالاختناق) احس بالمرارة تملأ فمي وصدري •• (يبتلع ريقه بصعوبة) لانجاة من المرارة •• (يحاول النهوض) خذي بيدي يا عائشة ••

عائشة : هاتها ياجدي •• (تأخذ بيده فينهض معها وتنهض بقية الجماعة •• ويسيرون خلف الجندي) ••

ابو الفضل : (يلقي بنظرة متأملة على البيت ثم يشيح بوجهه) لم اعد اعرف •• اين الحلم •• واين الحقيقة •• من هذا كله•• (الجندي يسير بهم في الطريق الامامي) ••

تاجر الغلال : (الى الجندي في تأثر) لاتقس عليهم ياأخي •• واخترلهم مكانا في الظل ••

تاجر النفائس : لسان ابيهم جر عليهم المتاعب •

(صمت)

تاجر العبيد : (الى التاجرين الاخرين وقد خلا لهم المكان) هل احدثكم عما يجول برأسي ••؟••

تاجر الغلال : برأسك العظيم •• ؟ •• اجل ••

تاجر العبيد : ان سيف الدين رجل بلا ذكاء ••

تاجر النفائس : مظهره يدل عليه ••

تاجر العبيد : انا لا ابني حكمي على مظهـره وحـده •• وانما على طريقته في البحث عن الاندلسي المارق ••

تاجر الغلال : انا لا افهم ماذا تعنى ••

تاجر النفائس : أوضح • •

تاجر العبيد : (في سرية وخطورة) ان البحث عن ابن يعقوب في طول المدينة وعرضها •• كالبحث عن ابرة في تلال من القش••

والاندلسي ذكي بغير شك •• ولن يعدم وسيلة للفرار •• مثلما لم يصعب عليه دخول المدينة ••

التاجران : وما رأيك انت ••؟••

تاجر العبيد : الطريقة الصحيحة في نظري هي الا نبحث عنه •• بل ننتظره حتى يأتي الينا ••

تاجر الغلال : ان لهذا الرجل رأسا عظيما بحق ••

تاجر النفائس : (الى تاجر الغلال) •• انتظر •• (ثم الى تاجر العبيد) •• وكيف يأتي الينا ••؟••

تاجر العيد : ان رفاقة الخمسة •• وقعوا في ايدي الجند في هذه الساحة •• فالسلطان ما يفتأ يعبرها الى المسجد ••

التاجران : هذا صحيح ••

تاجر العبيد : ولم يبق من العصبة التي رأيناها امام الخان سوى الاندلسي نفسه • فسرعان ما يظهر •• ليقوم بمحاولة جديدة ، للوصول الى السلطان ••

التاجران : (مبهورين) رجل ثاقب النظرة ••

تاجر العبيد : واذا لم يفد الى الساحة من اجل السلطان •• فسيأتي من اجل هذا العجوز المخبول وجماعته ، بحكم ما بينهم من علاقة لا نعرف اصلها •• (التاجران يهزان رأسيهما في اعجاب) ولانه يدرك مصيره اذا وقعت عليه الاعين فهو لن يخطو الى الساحة الا متخفيا في الظلام •• مع الفجر • ولن يتعرف عليه عندئذ سوى اليهودية الصغيرة

تاجر الغلال : انت خليق بان تدرج في قوائم اهل الراي والحكمة ••

تاجر النفائس : كان ينبغي ان تطلع سيف الدين على هذا كله ••

تاجر العبيد : هذا هو البله بعينه •• فلو القى سيف الدين القبض عليه فلن يفعل اكثر من ان يسلمه الى جند اشبيلية •• ولن تمضي ايام حتى نراه هنا ثانية ، ومعه عشرات من المارقين •• (سكتة قصيرة) •• هل ادركتم ما أعنيه •• ؟ ••

التاجران : نعم ادركنا •• ؟ ••

التجار الثلاثة : (معـا) من الحكمة ان تتخذ الحيطة •• لنحمي انفسنا في ايام مضطربة •• شغل السلطان الناصر فيها وجنوده ، بالمسجد والصخرة ••

(وينسحب الضوء من الساحة)

* * * *

(تسقط دائرة الضوء على يمين مقدمة المسـرح حيث تجمع شبان المجموعة المعاصرة الخمسة •• وتمر لحظة صمت) ••

الشاب الاول : الصمت ثقيل ••

الشاب الثاني : السجن لايحتمل ••

الشاب الثالث : احس بالاختناق هنا •• (صارخـا) •• افتحـوا الابواب •• (صمت يسمع وقع اقدام تقترب) ••

الشاب الرابع : (في هدوء) اني اتساءل ، الا يعلم السلطان ، حقا بمـا يجري في المدينة ؟ ••

الشاب الاول : اسمع خطوات تقترب ••

الشاب الثاني : لعلهم مقبلون بسجين جديد ••

الشاب الخامس : (في ذعر) قد يكون اسامة •• ؟ ••

(الجميع يصيخون باسماعهم •• وتمر لحظة صمت)

(تسقط دائرة من الضوء في الجانب الاخر من مقدمة المسرح ويظهر الجنديان أ ، ب • الجندي أ ، يحمـل نسخة من الكتاب وامامهما تسير الفتاتان ١ ، ٢) ••

الجندي (أ) : (الى الفتاتين وهو يدفع باحداهما الى دائرة الضوء) هذا المكان أليق بكما من طرقات القدس ••

الجندي (ب) : (بعد ان دفع الفتاة الثانية الى الجانب الاخر) ما اغربه من زمن تتسمى فيه البنات باسماء الرجال ..

(ويبتعد الجنديان)

الجندي (أ) : ليتني اعرف القراءة .. لافهم لماذا يسجنون من اجل هذا الكتاب ..

(صمت)

الشاب الاول : الاقدام تبتعد ..

الشاب الثاني : هو ليس اسامة ..

الشاب الخامس : ما زال اسامة يواجه قوى الشر وحيدا في المدينة ..

الشاب الرابع : هل يمكن ان يظل على عناده .. لم لايرحل عن هذه المدينة ليبدأ من جديد .. ؟..

الشاب الثالث : أكاد أقطع بأن صلاح الدين على علم بقصة أسامة وباب الفتوح .

الفتاة (١) : الموت ارحم من هذا السجن البارد ..

الفتاة (٢) : ستحزن امي حين تعلم اني سجنت .. ولن تكف عن البكاء .. اما ابي فسيقتله الشعور بالعار .. وددت لو التقي بهما فاحكي لهما الحكاية كلها .. لعلهما يفهمان ، لماذا نحن مسجونون ..

(وينسحب الضوء من المقدمة)

* * * *

(نحن في الساحة مرة اخرى انها ساعة الفجر الساحة خالية الصمت مطبق عليها .. وتمر لحظة .. ثم يظهر زياد قادما من الطريق الامامي في خطى حذرة .. وهو

يحمل كتاب « باب الفتوح » .. ويلقي بنظرة على الساحة من خلف جدار الخان .. ثم يظهر اسامة بن يعقوب من يمين المسرح متلفتا حوله في حذر .. ويتوقف امام الخان وقد فوجيء باختفاء جماعة ابي الفضل) .

زياد : (مناديا في صوت خفيض) .. اسامة ..

اسامة : زياد .. انت هنا .. ؟ .. (مسرعا اليه ويستمر الحوار بينهما في صوت خافت) ..

زياد : حمدا لله .. فانت بخير ..

اسامة : اين ذهب الجد ابو الفصل وجماعته يا زياد .. الا تعلم .. ؟ ..

زياد : سأتولى البحث عنهم .. اما انت فاهتم بنفسك .. فالجند يقلبون المدينة بحثا عنك .. اين تقيم الان يا اسامة .. ؟ ..

اسامة : في اللامكان .. (ويضحك ضحكة حزينة صغيرة) .. انتقل بين الامكنة .. ولا استقر في واحد منها . ولقد آوتني بالامس اسرة مسيحية فقيرة .. ولا ادري اين اذهب اليوم .. فانا لا احب ان اجر على هذه الاسرة الطيبة الشقاء (مبتسما) ربما ابيت مع رفاقنا في السجن ..(ويمد يده ليتناول الكتاب) .. اهذه نسخة جديدة من الكتاب .. ؟ ..

زياد : (مع شعور بالذنب) .. بل هو اصل كتابك ..

اسامة : (في اسى) الم تنسخه .. ؟ ..

زياد : لم يمكنني الشيخ من العمل في كتابك الليلة .. فقد كان يملي علي قصيدته التي اعدها لحفل اليوم .. وكنت اكتبها مشتت الذهن فاكثرت من الاخطاء ، وظل يعيد املاءها ، ويعيده ، حتى انتهى الليل ..

اسامة : (في الم) انها النسخة الوحيدة الباقية اذن ..

زياد : كلا .. فان في صدرى مئات النسخ . لقد حفظت الكتاب .. كلمة كلمة .. وبامكانك ان تختبرني .. (مصطنعا المرح) .. ولك ان توقع على ماشئت من عقاب عن سقطاتي ..

اسامة : (يبتسم ابتسامة تتلاشى سريعا) .. قد تحرق هذه النسخة اليوم ايضا ..

زياد : هم لن يضعوا ايديهم عليك .. انا على يقين من براعتك في الافلات ..

اسامة : فان وقعت في ايديهم .. ؟ ..

زياد : هذا فرض لا احب ان افكر فيه ..

اسامة : فلتفكر في هذا الفرض ..

زياد : لن ينتهي كتابك ابدا .. فلن ادع فرصة تسنح لي الا وأسمعت كلماته للناس .. شاءوا أم أبوا . سأتلوها في الاسواق ، وفي الساحات ، وعلى ابواب المساجد والكنائس، وفي مداخل الطرقات.وسأجمع صغار الاولاد فاحفظها لهم . وحين يستقربنا المقام في مكان .. سأعيد وضعه على الورق بنفس رسمك له .. ثم اجعل تلاميذي الصغار ينسخون منه النسخ . لسوف نملا الدنيا بكتاب باب الفتوح . (تفتح نافذة سيمون فتحة صغيرة) ..

اسامة : (مبتسما في حب) ما اروع حماستك وصدقك يازياد .. يؤلمني ان نفترق ..

زياد : لن نفترق .. بل ستغيب عني ساعات نلتقى بعدها .. وسألقى نظرة عليك من بعيد وانت تحادث السلطان .. معك الله يا اسامة (ويهم بان ينصرف) ..

اسامة : (يستوقفه) زياد .. لايفتك عندما تنسخ الكتاب من ذاكرتك ، مرة اخرى ، ان تذكر فيه اسماء كل الرفاق.. ولاتنس الاختين ..

زياد : .. لن انسى هذا ..

اسامة : واذا قدر لك يوما ان تزور الاندلس .. فمر باشبيلية .. واسأل عن بيتنا خلف الجامع الكبير .. وبلغ امي تحيتي .. وقل لها .. انني وان كنت قد ظللت حتى اللحظة الاخيرة أومن بالحد الساخن فكثيرا ما هزني الحنين الى صدرها الدافيء . نحن لسنا حجارة يازياد .. ولابد لنا بين الحين والحين ، من لحظة راحة ، على صدر دافيء ..

زياد : نعم .. نعم ..

اسامة : واسأل امي عن بثينة .. فان التقيت بها ، اطلب منها ان تغفر لي غيابي .. وقل لها ان الامر لم يكن سهلا ابدا..

زياد : لن انسى هذا .. ولكن ..

اسامة : (مقاطعا) فلنتصافح ، ونفترق .. حتى لايقضى على كل نسخ الكتاب بضربة واحدة .. (ويمد يده مصافحا).

زياد : (يلمس يد اسامة لمسة سريعة) لاتقل وداعا يا اسامة .. فانا لا احب هذه الكلمة منك .. فلسوف نلتقى ..

(يخرج مهرولا من الطريق الامامي .. ويلقي نظرة اخيرة على اسامة قبل ان يختفي) ..

(اسامة يدور ببصره على الساحة .. ثم يفتح كتابه على احدى الصفحات الاولى ويدس عينيه فيها)..

المجموعة المعاصرة : (دون ان تكشف عنها الاضواء .. في كآبة) ..

جفت حقول القمح .. قبل أن تنمو السنابل .. وماعادت

الابقار تعطي اللبن ! •• امشيئة الله ان تقتلنا جوعا ••
ام انا اذا شئنا ان نلهوا •• لم نرو حقول القمح •• وغفلنا
عن اطعام الابقار •• ؟

سيمون : (تفتح النافذة فجأة وتنادي باعلى صوتها) اسامة بـن يعقوب •• انت محاصر •• اسرع الى لأخفيك ••

(اسامة يتلفت حوله مروعا •• ويحس بالخطر بالفعل •• فيسرع الخطو الى يمين المسرح •• الا انه ما يلبث ان يرتد امام مجموعة من السادة تدخل في نفس اللحظة ، في خطوات ثقيلة ، ينفلت اسامـة الى يسار المسرح •• فيواجه بمجموعة اخرى من السادة •• يجرى الى الطريق الامامي فيفاجا بمجموعة ثالثة) ••

سيمون : الى يا اميري الوسيم •• فانا لن اخدعك ••

(اسامة يفكر ان يتجه اليها بالفعل •• ومع خطوته الاولى نحو باب الخان •• يفتح الباب •• فيخرج منه تاجر العبيد وتاجر الغلال وتاجر النفائس •• ويغلق الباب كما تغلق النافذة) ••

(مجموعات السادة تلتئم لتكون دائرة تحـوط باسامة وتظل تضيق الخناق عليه خطوة فخطوة)•

اسامـة : (وقد اسقط في يده) انني اعرف من انتم •• اعرفكم جميعا •• فما اكثر ما التقيت بوجوهكم •• في الاندلس •• وفي المغرب •• في مصر •• وفي الشام •• في كـل بلد وطئته قدماي • ليت رفاقي ياتون الان ؛ ليروكم في اجتماعكم الشيطاني هذا ، فيكتشفوا الحقيقة في أعينكم •• أننا على حق •• أن الفتوح لن تتيسر لهذه الامـة الا اذا هي مرت على اجسادكم جميعا •• بلا رحمة ••

اصوات بين السادة : بعنا نفسك ••

اسامـة : (صارخا) لا ..

اصوات بين السادة : بعنا كتابك ..

اسامـة : (صارخا) لا ..

تاجر العبيد : فسنأخذ منك نفسك بغير عوض ..

(وتنفجر مجموعة السادة في قهقهة عالية .. وتتحول الدائرة الى كتلة يختفي فيها اسامـة .. ثم تعـلو على ضحكاتهم جميعا صرخـة تطلقها الفتاة (٢) .. يظلـم المسرح معها على الفور .. ويرتفع في نفس اللحظـة هياج حماسي في الساحة .. نسمع خلاله وبعده مـع هبوط الضوء على المقدمة أصوات الشعراء تتفنن في القاء الابيات التالية من الشعر .. فيتكون منها مزيج من الكلمات لايفهم ..) ..

صوت عماد الدين : رأيت صلاح الدين افضل من غدا ..
واشرف من اضحى .. واكرم من امسى ..
وقيل لنا في الارض سبعة أبحر .
ولسنا نرى الا انامله الخمسا ..

شاعـر : اترى منا ما بعيني ابصر ..
القدس يفتح .. والفرنجة تكسر ..

شاعـر : وجرت منهم الدماء بحارا ..
فجرت فوقها الجزائر سفنا ..
صنعت فيهم وليمة عرس ..
رقص المشرفي فيها وغنى ..

شاعـر : جلت عزماتك الفتح المبينا ..
فقد قرت عيون المؤمنينا ..

شاعـر : فاذا مررت بملكه وفتوحه ..
فاسخر بما يروى عن الاسكندر ..

شاعـر : جند السماء لهذا الملك اعوان ..
من شك فيهم فهذ الفتح برهان ..

الشاب الرابع : (يصرخ فجـأة) كفى .. (فتختفي على الفـور كل الاصوات ويخيم الصمت على المسرح) ..

الشاب الخامس : لم تكن هذه هي نهاية القصة ..

المجموعة : (في كآبة) .. نعرف هذا .. فالتاريخ ممتد ..

الشاب الخامس : لم يدم النصر لصلاح الدين طويلا .. فقد عاد الفرنج بعد شهور وهم اكثر عددا وعدة .. واشد قسوة ..

المجموعة : ذبحوا الاف المسلمين .. واستردوا عكا .. ويافا .. وحيفـا .. وعسقلان .. وقيساريـة .. والدواروم وغيرها .. وغيرها .. حتى سلمهم الملك الكامل الايوبي مدينة القدس نفسها ..

الفتاة (١) : وفي الغرب .. سقطت الاندلس في ايدي الفرنج ، بلدا بعد بلد ، وذبح ملايين العرب ، فلم يبق لنا هناك .. سوى ذكرى حزينة .. تشهد عليها بعض الاطلال ..

الشاب الخامس : ولكن ، هل مات اسامتنا .. ؟ ..

المجموعـة : كلا .. فهانذا .. واحد من رفاقه .. مازلت حيا ..

الشاب الخامس : هل ماتت كلماته ..

المجموعة : ابدا .. فانا احفظها .. وبوسعي ان اسمعهـا لك ان شئت ..

الشاب الخامس : احب ان اسمعها ..

الجميع : المركب توشك ان تغرق •• ولكي ننجيها •• لابد وان تتخفف من بعض الاثقال •• ووسيلتنا اعتاق عبيد الامة •• لايوجد بلد حر •• الا بشعب حر ••

الشاب الخامس : وماذا ايضا •• ؟ ••

الجميع : ما من شيء يدفع عبدا ان يستشهد •• ليصون الحرية للاسياد • ان يحمي ارضا لا يملك فيها شبرا •• ان يحفظ عينا لا يعطى منها جرعة ماء •• ان يمنح دمه ليحيا جلادوه ••

الشاب الخامس : وماذا ايضا ••

(الستار يهبط ببطء مع الفقرة التالية)

الجميع : لو انا اعتقنا الناس جميعا •• ومنحنا كلا منهم شبرا في الارض •• وازلنا اسباب الخوف ، لحجبنا الشمس – اذا شئنا – بجنود يسعون الى الموت ، ليذودوا عن اشياء امتلكوها •• واكتشفوا كل معانيها : الحرية •• شبر الارض •• وماء النبع •• قبر الجد •• وامل الغد•

وضحكة طفلة تلهو في ظل البيت •• وذكرى حب •• وقبة جامع ادوا يوما فيه صلاة الفجر ••

باوجز كلمة ، عظمة امة ••

★ ★ ★

ســــــتار

رقم الايداع في المكتبة الوطنيـة ـ بغـداد

(٤٧٧ لسـنة ١٩٧٤)

السعر ١٥٠ فلسًا

١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ

